

اقرأ

نظمي لوقا

رقبى ايلص

دار المعارف مصر

رقيق الأرض

« لم آت لأدعو خطاة إلى التوبة ، بل الأبرار »
هنريك إبسن

نُظِمَ لَوْحًا

رَقِيصُ الْأَرْضِ

٦٣

اقْرَأْ

دار المعيار ف للطباعة والنشر بمصر

اقراء ٦٣ — فبراير سنة ١٩٤٨



جميع الحقوق محفوظة
لدار المعارف بمصر

إلى السائرين في الظلمة
وإلى من يلوح لهم من أنفسهم فجر جديد
ن . ل

مقدمة

في صفحات هذه القصة المصرية صدق في منزله عن الأغراض .

وفرق عظيم بين الصدق المنزه عن الأغراض ، والصدق الذي لا ينتهي إلى غرض ، أولا يؤدي إلى نتيجة .

فكل صدق في فهو يعطينا معرفة نفسية ، ويخلق في وجداننا وخيالنا حركة جائشة . وكلاهما زاد لا غنى عنه في عمل من أعمال الحياة ، أوقوة من قوى الأخلاق .

معرفة نفسية وحركة جائشة في الوجدان والخيال .

من الصدق الفني نستمد هذين ، وبغير هذين لا يفلح عامل ولا يشعر صاحب إحساس .

فإذا كان الصدق الفني يؤدي بنا إلى تحصيل زاد العمل والشعور ، فليس لأحد أن يقول : إن صاحب الفن الصادق — من أجل الفن الصادق — يعيش كما يقولون في برج من العاج .

* * *

أما القصة الواقعية التي يسميها بعضهم بالقصة الفنية الصادقة

ويحسبها مسخرة لخدمة هذا المذهب الاجتماعي أو ذاك ، فليست هي من الفن ولا هي من الصدق في شيء .
لأنها خديعة من الكاتب لتسخير القارئ في خدمة عقيدته ودعواه .

وهي خديعة لا شك فيها . إذ نحن لا نعرف من الناس طائفة كلها خير ، أو طائفة كلها شر ، ولا نعرف من الناس جماعة كلها إنصاف أو جماعة كلها ظلم ، وما من طائفة أو جماعة تروى عنها ما يثبت فسادها ، إلا أمكنك أن تروى عنها كذلك ما يثبت صلاحها . فإذا قصر الكاتب وصفه على الجانب الذي يزرى بها ويدعو إلى محاربتها ، أو قصر وصفه على الجانب الذي يرفع شأنها ويدعو إلى مؤازرتها ، فهو خادع يحجب بعض الحقيقة لغرض في نفسه . ولن يكون الخداع قريناً للصدق في عالم الفن ولا في عالم الأخلاق .

قليل عن الصدق الأخلاقي إن مخالفته لا تجوز إلا مع اثنين : مع عدو أو مع مريض .
وفي وسعنا أن نقول عن الصدق الفني مثل ذلك . فلا يخالفه الكاتب إلا وهو يحسب المجتمع القارئ من الأعداء ، أو يحسبه من المرضى . فأجمل ما يوصف به أنه كاتب كاذب لعله ، وخير منه ولا شك الكاتب الصادق لغير علة . وهكذا كان الأستاذ

نظمى لوقا مؤلف هذه القصة ، حين عرض لسرد الوقائع ،
و حين عرض لوصف « الشخصيات » .

فكل شخصية من شخصيات « رقيق الأرض » فأنت واجد
لها نظيراً في بيئة من البيئات المصرية .

وكل حادثة من حوادثها فمن الجائز جداً أن يصادفها القارئ
في تجاربة المألوفة .

ولنما يربطها الكاتب برباط الفن فإذا هي وحدة حية
معروضة في نطاقها المحدود ، ماثلة أمام القارئ بغير افتئات
على فكره أو على شعوره أو على هواه .

ولن يضيع أثر هذا الصدق لأنه صدق بغير دعاية ، فإن
المؤلف الصادق لم يعش في برج من العاج ولم يضع الحياة في
برج من العاج ، بل وضعها حيث يحيا أبناؤها ، وحيث يرقبها
الناظر البصير على حقيقتها .

وهذا هو الواجب الأول ، بل هذا هو كل الواجب على
كاتب القصة والرواية ، وعلى كل كاتب فنان .

* * *

والأستاذ نظمى مؤلف « رقيق الأرض » أديب شاعر ، أخذ
بقسط حسن من دراسة القانون ، وأخذ بقسط أحسن وأوفى من
دراسة الفلسفة ، واطلع على ثمرات العبقرية في العربية وفي

اللغتين الفرنسية والإنجليزية ، وواجه الحياة بحس شاعر وفكر
فيلسوف . وقد كانت له وهودون العشرين دراسات لديكرت ،
ولما وراء الطبيعة ، تستوجب الثناء لو صدرت من أبناء الثلاثين
أو الأربعين .

وقد عالج القصة تأليفاً وترجمة في مناسبات كثيرة ، ثم كتب
« رقيق الأرض » فأودعها من هذه الخبرة الفنية وهذه الدراسة
القليلة ، خلاصة طيبة تترأى في ترتيبها وتبويبها ، كما تترأى
في صوغها وأسلوبها ، فهي بهذه المزايا خليقة أن تتقدم إلى
القراء بغير تقديم .

فإذا قال القارئ بعد الفراغ من قراءتها إن تقديمي لها
تحصيل حاصل ، وإنه لم يجاوز الواقع الذي اطلع عليه ، فليذكر
أيضاً أن الصدق المنزه الذي يطابق الواقع جائز في التقديم جوازه
في التأليف .

عباس محمود العقاد

كلمة في الموضوع ...

أما الأرض فهي هذا الكوكب .
وأما الرقيق فهم أنا وأنت — أيها القارىء — وسائر من
خلق الله ...

فليست الأرض هي المزرعة ، بل هي هذا العالم الكبير
بظروفه وأوضاعه .

وليس الرقيق زارعوها الملتصقون بها ، بل هم هذا الجمع
المجتمع مقيدون بهذه الظروف مستعبدين للأوضاع والمواضع
التي تنجم عن حياة الاجتماع ...

وهل تحسب جميع من يسرون على اثنتين لا على أربع ،
ويخضعون لقواعد متشابهة من المنطق وعلم الاقتصاد وعلم
الأحياء ، طرازاً واحداً من الكائنات لا يخضع الواحد منهم
إلا لهذه الحدود المشتركة التي يعينها العلم ويرسمها العرف ويسهر
عليها القانون ؟

إن الأمر على خلاف هذا

وهان أمر الإنسانية إذن لو أن شخوصها كانت خواء منحوبة كل ما فيها هذه الحلائق الشائعة والسماوات الظاهرة دون تمايز في الكنه ودخيلة الضمير

وهان كذلك كل مشكل ينشأ عن التشابه الظاهري وقيود الاجتماع

فليس الناس نسخاً من صحيفة الأهرام لا تمايز نسخة منها عن زميلتها إلا بخدش في الورق هنا أو حرف مطموس هناك
فإن وراء هذا التشابه الظاهر لاختلافاً يهون إلى جانبه اختلاف ما بين درجتين متمايزتين من مملكة الحيوان

فإن النفس الإنسانية شيء عجيب حقاً : إنها نهر دافق عظيم — كما يقول هنري برجسون — وليست الأعمال الظاهرة فيه إلا ما يطفو فوق سطحه ، أما التيار نفسه في عمقه ، وشدة ، وحيويته الدافقة فمطوى عن أنظار من تبهرهم الأضواء المعكوسة على سطحه اللامع الأخاذ

وإن كل لحظة نفسية من لحظات الطفولة ، وكل أثر من تجاربها هي « التربية » الحققة التي تطبع ذلك التيار الجارف

بطابعها الذى لا يزول ، والذى ينشأ عنه كل جديد من إحساس المرء وانفعالاته وأفكاره عند ما يشب ، بالقدر الذى تحركه فيه مناسبات العالم الخارجى الذى يعيش فيه الجميع على تشابه ظاهرى فى الصفات والظروف

وإن طعاماً يفيد عملاقاً ويزيده قوة وصحة ، هو سم قاتل للمريض المحموم ، والاثنان بعد يعيشان فى مجتمع واحد وفى ظروف واحدة

والناس مختلفة نفوسهم كاختلاف معدة ومعدة فى حالى الصحة والمرض ، بل إن الأمر هو أشد اختلافاً : فهذه الظروف الواحدة فى حد ذاتها ، ليست واحدة أبداً فى آثارها وما تستنفره وتبتعثه فى النفس من إثارات واستجابات

فالمساواة فى الشروط هنا مساواة ظاهرية فقط ، أما من حيث الموضوعات الخاضعة لها — وهى الكائنات البشرية — فإن هذه الشروط لا تكفل المساواة ولا تمت إليها بصلة من الصلات .

عوامل متمايزة معزولة ، مغلفة على ذواتها معظم الأحيان ، بحيث يكون الأخ وأخوه شيئين مختلفين تمام الاختلاف فى

التجربة النفسية التي يبتعها مؤثر واحد من مؤثرات الحياة الخارجية .
ولكن هل يعنى العرف بهذا الاختلاف ، وهل يحمله القانون
محل الاعتبار؟ ...

إن الأمر يتطلب نفاذاً إلى هذه العوالم واستكناها لها غير
يسير . . . ، وما أقل الرغبة في النفاذ إلى الكنه المطوى ، وأقل
من ذلك بكثير القدرة عليه . . .

فالعرف العام والقانون الوضعي كلاهما يقوم على المساواة ،
وأنها في الواقع لتسوية لا مساواة ، وبين الأمرين فارق شاسع
مخيف خطر . . .

وهل من خطر أعظم مما يحمله خداع الألفاظ ، فنحسب
أنا نعدل بين الناس إذ نسوى بينهم تسوية الموازين التي لا تفرق
بين الجواهر وأحجار الطواحين^(١) ، ونحسب أنا بهذا أبرأنا
الذمة ووفينا بما افترضنا في أنفسنا من صدق الحكم حين تصدينا
للقضايا والأحكام ؟ ! . . .

فكل امرئ رهين بالصورة التي يترأى بها العالم الخارجى
في مرآة نفسه البعيدة الأغوار ، المشكلة على غير غرار ، والتي

ينظر إليها العالم الخارجى — أى العرف والقانون — كأنها سطح
مستو لا عمق فيه ولا أسرار ، ولا ضرورة فيه ولا اضطرار ،
ولنما الأمر كله نسخ مطبوعة لا تنطوى إلا على موضوعات المنطق
وعلم الأحياء وعلم الاقتصاد ...

فنحن بهذا سجناء فى رحبة الأرض ، سجناء فى طوايا أنفسنا ،
بل نحن شر من السجناء : لأننا لا نعرف أغوار أنفسنا وأسرارها ،
ونؤمن مع هذا بصواب نظرة العالم الخارجى ومقاييسه — لأن
مقاييسنا وصيغ عقلنا مكتسبة من حياة الاجتماع التى هى سجن
آخر رهيب لا يفهمنا ، ونتقبل نحن مع هذا فهمه لنا فى إيمان
وتسليم . ونحن لا نفهم أنفسنا ، ولكننا نخضع مع هذا لها
لأنها « نحن » قبل كل اعتبار ، ثم بعد هذا يديننا العالم بمقاييسه
العمياء ، بل وندين نحن أيضاً أنفسنا مع العالم فى كثير من
الأحيان ! ..

ألسنا إذن رقيقاً فى الأرض ، نخضع دون فهم ولا اختيار
لطوايا نفوسنا ، ولا نملك من ذلك فكاكاً ، كالمدبلحين فى
الظلمة على عجز ، وكالذين ضرب عليهم العمى من مولدهم ولا
عكازة لديهم ولا رفيق ، وعليهم مع هذا أن يخطوا وفق حدود

رسمها من يزعمون لأنفسهم بصرا ، وإنما هم تواضعوا على تخطيط
لمعالم الأرض دون نظر إلى طبائع السالكين . . .
هذه هي الأرض ، وهؤلاء هم رقيقها المساكين . . .
فإذا تخطى واحد منهم تلك الحدود المرسومة ، فتلك هي
الجريمة ! . .

جريمة أجل ! بينما في طوايا النفس لا جريمة ، وإنما هو
تيار مطرد ينتهي إلى نقطة لا بد منها بحكم اندفاع التيار واتجاهه
وبحكم ما يعتلج فيه وما يتلقاه من خارج من موجهاً تحدث
فيه أعجب الآثار . . .

أما في نظر القانون . فهذا التطور الطبيعي المحتوم جريمة
تنصب لها الموازين ، وأى موازين ؟ تلك التى لا تفرق بين
الجواهر وأحجار الطواحين . . .

إنها حقاً لمعصوبة العينين هذه العدالة التى ييسارها السيف
وييمينها القسطاس ! . .

ولست عن عدالة القضاء وحدها أتحدث ، وإنما عن العرف
العام ومقاييس المجتمع الخلقية فى مجموعها أيضاً
أما النفس المطوية على أسرارها فتمضى فى طريقها غير

خاضعة إلا لشروط عالمها المكنون الذى تكتنفه الظلمة والحيوية ،
كما تمضى العدالة أيضاً فى طريقها مغمضة العينين لا تحاول
النفاذ إلى ذلك العالم المطوى عن الأبصار ، والذى ينبغى للنفاذ
إليه كل ما فى البصر من سلامة وقوة

ولكن العدالة معصوبة العينين

ولكن العدالة راضية عن نفسها أعظم الرضى ما دام فى يدها
الميزان الذى لا يفرق بين الجواهر وأحجار الطواحين

ولكن العدالة مقدسة ومستتيرة ، لأنها تنظر إلى الأمور فى
ضوء العقل الخارجى وصيغ المنطق وعلم القانون

* * *

هذه هى الجريمة وهذه هى العدالة على طرفى النقيض
وهذا بعينه موضوع المأساة التى تعرضها هذه القصة : العوالم
المغلقة التى لاتعى ما فى داخلها ، ولا تحسن إدراك ما يحيط بها
فهى مستعبدة مرتين : لذواتها المجهولة لها ، ولحيطها الذى لا يفهمها
ويدينها على ما لا يدرك فيه بحكم طبيعتها الكامنة الحرة المجهولة
لها وللعالم الخارجى .

وأقول العوالم المغلقة ، وهى هنا نفوسنا جميعاً ، أنا وأنت :

الجالس في قفص الاتهام ، والمتصدى للقضايا والأحكام ،
والمتفرج في الجلسة على حد سواء . . .
فنحن جميعاً رقيق الأرض المساكين . . .

* * *

لقد اجتمع عندي موضوع هذه القصة منذ سنوات طويلة ،
حينما أريد لي وأنا في السادسة عشرة أن أدرس القانون ، ففضيت
في دراسته نيفاً وستين ، ولكن الأمر أقلقني ، وأنا رجل ضعيف
عن مغالبة الهواجس ، فلم أجد في نفسي الشجاعة على التصدى
للقضايا والأحكام محامياً أو قاضياً أو ممثلاً للاتهام ، فتحولت
إلى العوالم المغلقة : عالمي أنا وعوالم الناس أحاول أن أسبر
أغوارها . . .

ولأنه لطريق طويل . . .

ولكنني غير ضجر بالطول والمشقة ، لأنني رجل غير طموح ،
ولا تغويني الأضواء الباهرة في بلاط المجتمع الأنيق الذي يحول
عينيه مستنكفاً عن الظلام ويحب الموسيقى والزينة والأوشحة
والعناوين .

وتسألني أيها القاريء عن الظلام وماذا أعددتنا له لكي نسلك
في أغوار الإنسان المظلمة . . .

فأقول هو « الحب والصدق وشجاعة الإيمان » .

هو الحب ، لأنه يخلق المشاركة الوجدانية التي تنتهي بك إلى
الفهم وتنقلك إلى شبيه بذلك الجوال الذي تريد النفاذ إلى ما يعتلج
فيه . . .

وهو الصدق ، لأن الأمانة تفضي بك مع الحب إلى حسن
الفهم والعزوف عن زخارف المجتمع ومقاييسه . . .

وهو شجاعة الإيمان ، لأن الإنسان ضعيف ولالأضواء
فتنها ، ولأن العوالم المغلقة المظلمة طريقها شاق وطويل ،
وليس الوصول إلى شيء ذي قيمة بأمر سهل ولا مضمون . . . بل
إن الوصول نفسه لا يبدو في مستهل الطريق موصلاً إلى كرامة
أو تشريف .

ولكن عند ما يكون هناك الحب والصدق وشجاعة الإيمان ،
يكون السلوك في الظلام مع عدم التقدير من عشاق الأضواء
والمراسيم لذة في حد ذاته وإن لم ينته إلى شيء كثير . . .

الحب والصدق وشجاعة الإيمان : ليست زاداً لرحلة إلى

أضواء المدينة ومهارج لذاذاتها الصاخبة ، ولكنها زاد طيب
 لحياة سعيدة تقوم على القوة والإباء . . .

نظمى لوقا جرجس

يونيو سنة ١٩٤٥

١

المجتمع الطاهر يتفلسف . . .

كانت تمر الخواطر برأسه سريعة متقطعة ، وراء جبهته الضيقة التي تعلو عينيه الحولاوين الدائرتين في محجريهما لا تستقران ، وقد طرح طربوشه إلى مؤخر رأسه المستدير ، وهو يتدحرج إلى المنزل في ظهر يوم من أيام الصيف في مدينة « د » دافعاً أمامه كرشه الصغيرة التي تهترع مع خطواته الحثيثة القصيرة كقامته المكتنزة ، وقد حفظ توازن تلك الكرش بطيخة عن شمال ، وقرطاس من البلح عن يمين . . .

كانت خواطر « محمد أفندى » عن العمل ، وعن المارة ، وعن هذه الساق الملفوفة الظاهرة الفتنة تحت لفة محبوكة من الملاءة المصفاهة ، وعن هذا البرقوق الفاحش الغلاء في دكان بائع الفاكهة الذي لا يقبل المساومة ويتكلم « بالكناية » . . .

وقطع الطريق فجأة إلى الإفريز الآخر ، ليتحاشى « ممدوح أفندى » وكيل القلم . . . ويا له من وغد خسيس ، لا يحلو له أن يتغطرس ويقطب جبينه وينتقد في حدة واستعلاء إلا عندما يضطر إلى الدخول عليه ليمضى منه بعض الأوراق في الوقت الذي

يكون في مكتبه بعض الضيوف . . . والويل له إذا تصادف إن كانت إحدى هاتيك الأرامل اللطيفات في ثياب الحداد التي تزيدهن فتنة جالسة عند « سى ممدوح » لإنجاز بعض الأمور المتعلقة بمعاش « المرحوم » ! .

وهل هو أكفاً مني هذا الممدوح أفندى ! هراء . وإنما هو حظه وكفاءته الممتازة ، والتي تتمثل أولاً وآخرآ في أخته التي تشتغل بالحياكة ، والتي تفصل عندها عائلات « الرياسة العليا » ملابسهن الأنيقة . . .

لقد بلغ الدار أخيراً ، ورفع رأسه وهو ساخط على هذه المذلة التي يلقاها من هذا « الممدوح أفندى » ، فإذا « الولد » في الشرفة ، ينتظر أوبته . . .

وارتقى السلم ، وقد انقلب استخداؤه ومذلتة إلى تقطيع عريضة — كم تشبه هذه التقطيع تلك التي تعلو سحنة « ممدوح أفندى » عند ما ينتهره أمام الزائرات اللطيفات !

إن الولد الحبيث قد طبع قبلة خاطفة ، ويده على الفاكهة ، كأنما تلك القبلة ضريبة الملاهي التي تلقى إلى العامل القاء قبل الدخول إلى الملهى . . .

وبدا صوته فيه استعلاء وغطرسة — صوت لا يعهد في
في الديوان ، وبخاصة في مكتب ممدوح أفندى — وهو يلوم
امراته على قلة عنايتها بالأناقة والترتيب ، فإن الملابس مكومة
فوق الأريكة عند المدخل . . .

وكانت « ست بليغة » في هذا الوقت تغرف الطعام في
المطبخ ، وقد لبست القميص « الباتية اللبني المسخسخ » ،
وأساريرها منفرجة في غبطة الأنثى عند ما تحس سطوة « الفحل »
وتستمرؤها . إنها الجرعة الأولى من الرضى بعد تعب النهار في
سبيل إرضاء الرجل الذى تحس في سيطرته اطمئنان الغريزة
إلى كنفها الطبيعى . . .

وشرع يخلع ملابسه ، وقد زال التقطب عن وجهه ، فقد
نفس عن صدره ما لقيه من ممدوح أفندى : أليس يملك هو
أيضاً أن يأمر وينهى ، وأن يجد الغبطة في الأمر والنهى ، وأن
يشهد الطاعة حيث ينتظر . . إنه الساعة سيد كريم تماماً لا يحس
فوق كاهله وقرا ينقص عزته أو يثلمها . . .

ودلف إلى قاعة الطعام ، وقد هش للطعام وتفتحت حواسه
لرائحته ، فأقبل عليه إقبال المستمتع يملأ شذقيه المكتنزين

كليهما ، ويكاد يحسبه الناظر يأكل بكل جوارحه : حتى شعره وأذناه كانت كأنها كلها تمضغ وتزدرد لقم الطعام . . . وعينه الحولاء تحسبها دائماً شاخصة إلى باب الحجرة عن يمين ، بينما هي على الطبق ثابتة لا تريم . . .

وجاء دور ضبجة القيلولة ، وقد تفتحت الحواس لها بالطعام ورائحته الفاغمة ، فنشطا لتلك الضبجة نشاطاً طبيعياً تستكمل به النفس الحيوانية متاعها بعد أن استوفت حظها من العلف وفاتحات الشهية من تلويحات الطبيعة التي تفعل فعلها دون وعي ، لأنها أعمق مسرباً في النفس من كل وعي وتدبير . . .

* * *

— قومي يا امرأة . . . قومي أعدى لنا قهوة العصر . . . وانتقل إلى الأريكة في الغرفة البحرية ، وهو يسوي يديه طاقيته البيضاء فوق رأسه الصغيرة المستديرة كأنها القلقاسة ، ويدندن في طرب ورضى عن الحياة « يا محنيه ديل العصفورة . وباشواتنا جايه منصوره » .

ولعله كان يظن نفسه حينئذ باشاً منصوراً . . . والنصر ليس بعد بوقف على ميدان دون ميدان . . .

وجاءت « الست بليغة » بالصينية « النحاس الأصفر »
اللامعة ، وقد صفت عليها معدات القهوة ، تخطوبها في
نشاط ورضى ، شأن من استوفى حظه من العقار والطعام .

وتلمظ « محمد أفندى » وهو يمتص « شفقة » من القهوة في
تلذذ ظاهر وصوت مسموع ، وتناول الجريدة يتصفحها تصفح
المتفرج الذى رضيت. نفسه واستراحت أعصابه إلى مطالبتها ،
فبدأت تتطلع إلى الناس من حولها كيف يلقون من دنياهم ،
وماذا هم فاغلون ...

وسألت « ست بليغة » عن الأخبار ، فقلب شففيه وقال
« لا شيء ... ركود سياسى ، وركود مالى ... » .

وسألت أن يقرأ لها أخبار الحوادث والمحاكم والجنايات ،
فإن أمثال هذه الأسرة الشريفة التى يتكون منها المجموع الطاهر
السوى الحسن السلوك ، التى ينهض عليها بناء المجتمع ، وتكون
الرأى السائد فيه ، تحب دائماً أن تتسلى بشيء مخالف لنعمة
حياتها الرتيبة المغمورة ، سواء أكان ذلك عملاً من أعمال
البطولة ، أو الحرب أو الفضائح ، أو الجريمة ...

ولكن الصحيفة كانت مقفلة ذلك اليوم من الفضائح وأعمال

البطولة والجنايات المثيرة ، وأخيراً وقع بصره على هذا الخبر
فى ركن مترو من الصحيفة .

« لندوبنا فى المحاكم : نظرت الدائرة الثانية جنابات المنعقدة
برئاسة س بك . فى قضية امرأة ألفت بابنتها الوحيدة فى بئر ،
ولم تدل هذه المرأة بأى دفاع عن نفسها ، ومما أثار الدهشة
أن هذه الطفلة شرعية لا غبار على مولدها . . . وقد قضت
المحكمة بحبسها ثلاث سنوات مع الشغل والنفاذ » .

— آخر زمن يا امرأة ! آخر زمن ! طفلة شرعية ، أنجبته
من زواج شرعى . . . أتقتلها ؟ . . .

— والله صدقت ! آخر زمن !

— وحكموا عليها بثلاث سنين فقط ؟ مدهش . . .

— لقد كان الأولى أن يقطع من لحمها ويطرح للكلاب . .

— هذا حكم يشجع على الجريمة . . . كان ينبغى أن تعدم

لتكون عبرة لغيرها . . . هذه التحذيرة . . .

قالها وهو يطوى الصحيفة ويضعها إلى جواره ، وانتقلوا

بالحديث إلى أسعار السمن الباهضة فى هذه الأيام . . .

٢

الطست ومنعطفات الطريق

كان البرد شديداً ، وصفحة السماء داكنة ، والرياح تصفق
مصاريح النوافذ في غير هواده ، ولكن الموقد الذي تعلوه قدر
الماء ، كان يرسل الدفء في حجرة الغسيل التي كانت تعمل
فيها ، ويدأها لا تكفان عن ذلك والدعك والتصبين ، وقد ركزت
عينها - لا تطرفان ولا تحولان - عن نقطة في الحائط
قبالتها ، وقد أشرق وجهها بابتسامة شاردة ، كأنما تداعب
بها حلماً بعيداً يرتسم مشرقاً وراء ذلك الحائط الذي سوده
دخان الموقد .

إنها ابتسامة الكائن الحي تداعبه غاية أجنثها أعصابه
وطبيعة تكوينه ، فيتفتح لها بمجموعه في غير موارد . . . إنها
الأنثى تقبل على الحياة وقد آذنت حجبتها أن تنكشف دون
غاية الطبيعة التي تموه لها بالأفراح والأغاريد ، وباهزة في
كيانها كله من منبت الشعر حتى القرار .

لقد كان خيالها يطوف - وراء ذلك الحائط - بمنعطفات
في الطريق حيث يركز مشبولى « طبليته » بين الفينة والفينة ويبيع

لحم الرأس لعشاقه ومستطيبه ، وعلى رأسه لاسته المائلة إلى اليسار قليلا ، فوق جبينه الواسع وعينه القوية النظرة الشديدة الأسر ، وشاربه . . . لهفى على ذلك الشارب المفتول ، كم أصمى فؤاد نعيمه ، وكم أثار فى خيالها وطوايا ضميرها الفطرى من أحاسيس مبهمة ، هى بعد مفهومة فى عالم الإحساس والأعصاب حيث لغة المنطق واثارات الوعى لا تفهم ولا تستجيب .

لقد رأت نفسها وقد التفت بملاءتها الهفهاقة ، ووضعت البرقع ذى القصبة الذهبية على وجهها - ولكم تبدو ساحرة حين تضع اللثام . وأخذت تتخطر فى الطريق وهى تمضغ اللبان ، وتطرع به بين شذقيها فى تيه ودلال . . .

وانها لترى نفسها تقترب من ذلك المكان الذى تعلم سلفاً أن متبولى يقف به ذلك الوقت من النهار . . . فإذا بها تحس شيئاً يدفعها من رجليها نحو مكانه ، وتحس شيئاً آخر يريد أن ينحرف بهما عن ذلك المكان ، وهى بين ذلك حائرة يندفع الدم إلى أذنيها وتضطرب خطواتها وتأخذها رعشة تكاد تصل بها إلى الاغماء ، وقد أوشكت أن تلتف قدماها إحداهما بالأخرى . .

إنها لا تنظر ناحيته ، ولكنها تعلم أنه ينظر إليها فظرت تلك لفاحصة الكاشفة ، فكأنما هو بتلك النظرة ينفذ إلى صميمها ويفحص استدارة جسدها هنا وهناك ، وهو يدق بالساطور ذلك لدق المتتابع الرتيب ، وعلى وجهه ابتسامة الخبير حين يميز « البضاعة » الطيبة التي تختفي مزيتها على سواه . . .

وإنها لترتعش رعشة قوية ، ولكنها تحس لذلك الحرج نشوة عاتية تملكها وتغمرها وتغوص في كيانها إلى الأعماق حينما يقول بلهجته البلدية : ميت حلاوة !

وتتسع الابتسامة التائهة على شفثها حتى تملأ وجهها جميعاً ، ويحمر وجهها احمراراً شديداً ، ثم لا تلبث أن تثبه فجأة ، فتحنى رأسها لتنظر إلى يديها وهما تعملان في الطست ، كأنما هي توحس من كثرة الأحلام أن تصيبها عين شريرة ، أو لعلها أحست نخجلاً ساذجاً من نفسها أن تسترسل مع الأحلام وأن تستهويها الخواطر ذلك الاستهواء فتصرف عن عملها هذا الذي تؤجر عنه ريالاً كاملاً في اليوم ، تنفق منه على ملابسها وزينتها وتشتري من مدخره الحلى الذهبية التي توسوس كلما حركت يديها . — وما أكثر ما تحركهما منذ اشترت هذه الحلى . — فإن

أمها « مبروكة » قد كفتها القوت والمسكن بما تبيع من الفول
النابت صدر النهار .

وظلت تدعك الغسيل بيديها وهي ناظرة إليهما ، كأنها تحاول
تركيز انتباهها في هذا العمل الدائب فلا يطير مع الأحلام في
منعطفات الطريق .

ولكن لا يلبث الطست والغسيل وحركة يديها أن تتلاشى كلها
— ولا تدرى كيف — وإذا بها ترى نافذة صغيرة تطل على
حارة نظيفة ، وقد صفت عليها أصص من الزهر والنعنec ناضرة
عبقة ، وانسدل عليها ستار كذلك الذى تلمحه في غرفة نوم
منيرة هانم ، عجباً لهذه المرأة ، كيف تمط كلامها وتلويه في فمها
ذلك اللي العجيب في لباقة وتطير كلما كان « الأفندى » في
المنزل ! كم تفتن هذه المرأة في الخلاعة تقيد بها إلى جسدها
ذلك الرجل المزواج الذى بنى قبلها بست نساء !

ولإنها لترى نفسها وقد مدت يدها — يدها فقط — بل أطراف
أصابعها من وراء الستار لتضع على النافذة صينية القل ، وقد
لمعت قللها من نظافتها وفاحت رائحة ماء الورد منها ، وإنها
لترى من ثقب الستار ذلك المراهق من أبناء الجيران مصفف

الشعر في بزة أبناء المدارس المترفين ، وكيف يتطلع إلى هذه
 الأنامل ويتحرق إلى روية وجه صاحبته . . . وأنها يومئذ لفاتنة
 كأنها لم تتزوج متبولى بعد ، ولكنها اليوم حصان مخدرة ، لا
 تخرج لعمل وقد سكنت إلى فحل يكفلها ويرعاها ، وإن
 كانت تسر دائماً أن ترى جمالها وفتنتها وأنوثتها تثير حركات
 الرجال . . .

وإن الغرفة لتنظيفه كبيوت التركيات ، ومفارش الأريكة
 والسرير لامعة — إنها ستفتن في الغسل والتنظيف حينئذ سيدة
 لا مأجورة — وستقف خلف ستار النافذة تتسلى بغاد ورائح ،
 وبمنظرة من الفتى اللهفان في الشرفة المقابلة ، في انتظار متبولى
 يعود من مجلسه مع الجدةعان ، ليعقد معها ذلك السهر الشهى
 الذي ستملاً هي جوه سحراً ورغبة ودفاً . . .

وإنها لترى إخوانه « عترة الحى » يغبطونه على ما غدا فيه من
 أناقة ونظافة يلفتان النظر ، فإنه « الآن » يصمى قلوب عذارى
 الحى وإناته أكثر من ذى قبل بهذا التجميل والتأنق الذين ستعنى
 هي بهما عناية خاصة ، لتزيد نار الحاسدات المنافسات ضراماً ،
 والتفرد باللحمة المشتهاة فيه فوق الشبع لذة ومتاع . . .

وإنها لتعود إلى ابتسامه الرضى واللذة الساذجة بهذا الكيد الذى
تثيره ، وهذا الفوز الذى تحسه وتجتهد فى توكيده والمكايده به ،
وتتسع ابتسامتها حتى يفيتها فرط ذلك السرور من حلمها ،
فإذا الطست أمامها وهى دائبة بعد على الدعك والتصين . . .

٣

سرحة في فضاء شعري ! . . .

قام من ضجعة القيلولة — إذا صح أن نسميها ضجعة تلك
التهويمة اليسيرة المبتسرة التي استغرق فيها متبولي فوق كرسي غير
مريح في قهوة « الحاج خليفة » — فجعل يحرك شفتيه كأنما يتلذذ
ببقايا طعام في فيه . ثم مسح على فمه بظهر يده وتشاءب وتمطى ،
ثم بصق ، ونادى صبي المقهى ليحضر له فنجان القهوة السادة ..
وجعل ساقاً تحت فخذه على المقعد ، ومد الأخرى على
الأرض أمامه يداعب بها طرف مركوبه الضخم ، وهو يتأمل
هذه الحركة ، وكأنما قد راقه منظر قدمه العارية ، وما نبت في
أصابعها من شعر أثيث . . . وذكره ذلك برجولته البادية ،
فهرش ثم قتل شاربه وهو ينظر إليه في زهو ورضى !
وجاءت القهوة ، فجعل يحسوها حسو المستأني ، وقد سرح
بصره في الفضاء أمامه — ولم يكن ذلك الفضاء الشعري الذي
سرح بصره فيه إلا خربة من خرائب الوقف يألفها الناس بين
وقت ووقت في هذا الحى الذى لم تنتشر فيه بعد سنة التخصيص
في المرافق والأوضاع . . .

إن فيه لرجولة بادية ، وإن فيه فوق ذلك وقبل ذلك لإحساساً شديداً مركزاً بهذه الرجولة ومظاهرها ومدى ما ينبغي لها ! . فهو بهذا الاقتناع يتبع حواء و يطلبها ، ويسيل لعابه للفاكهة الناضجة أيان وقع عليها بصره ، تفاحاً كانت أوقثاء . . !

سرح بصره في الفضاء الشعري الذي أمامه فرأى نفسه مثار أحاسيس النضج في كل ثمرة تحس نضجها وتتأهب للسقوط والالتهام متى رأت القواطع والأنياب وعضلات الفك القوية في وجوه الأكلين . وأنه ل يبدو ذا ناب قوية ومعدة تحسن تقبل الطعام وهضمه في قدرة لا تخفى على صاحب الطعام الذي ينشد له أقدر الأكلين المتذوقين لحسن الطهي والتبيل !

ورأى الثمرات أمامه نواضج كلهن ، ما فيهن ثمرة إلا رفت لنابه بعين ، أوزنقت لفكه القوية بطرف ، أوهفت إلى معدته القوية أن تحتويها إلى الأبد في لفحة وحنين ! . . .

ويتحلب « شفطة » من القهوة متلمظاً في تلذذ ظاهر ، كأنه يتذوق من تلك لثمرات التي تستهويه على السواء ، ولا يرى في أيها اختلافاً عن سائرهما ، لأن ما يستهويه في جميعها إنما هو النضوج ونداء اللعاب والأنياب ،

ثم استقرت أمامه صورة « نعيمة » بجسدها الذى يرى تحت
 الملابس استدارته رأى العين ، ويكاد يتحسس بيديه الحشتين
 لين معاطفها وبضاضتها وإنه ليتشمم فى خياشيمه لها ريحاً
 هو ريح الثمرة الناضجة . . . وقد يكون ريحاً غير جميل ،
 ولكنه يخاطب الغدد والأعصاب ، ولغير خطاب الجمال خلقت
 لغة الغدد والأعصاب

ورأى خطرتها تلك فى ملاعنها ، تشعر بالمكانة التى وهى
 لا تنحدر إلى الحضيض من حساب طبقات الناس كافة ،
 ترتفع إلى الصدر فى ذلك الحى الذى يعيش على عرق السواعد
 والجباه .

وأن سمات السيادة ، من تلك الملاعة والبرقع ذى القصبة
 الذهبية ، إلى الخلق والأساور العديدة التى توسوس فى يديها وهى
 تصلح عامدة من لغة الملاعة فى جانب الطريق لكى تكشف
 عن ثوبها المشجر من الحرير الصناعى اللامع ، لتستولى كلها على
 مشاعر متبولى الذى نشأ فى الحضيض ودرج على إكبار سمات
 العزة والسيادة . .

وإنه ليراها ثمرة مشتهية إذن لازهرة مونة رفاقة ، وإن رغبته

لتزيد فيها بتلك البوادر من علامات اليسار التي تفتن مثله
وتجتذبه لا انجذاب طامع أو حاسد، بل انجذاب مكبر شيئاً ما
لهذا الذي يستهويه ويرغب فيه .

ورأى الثمرة في شروده ذاك ببصره وقد تضرع خداهما بحمرة
فوق مالهما من حمرة النضوج ، واهتز جسدها فوق اهتزازة بمشية
الدلال ، كلما اقتربت منه ، ورأى الرغبة في إغضاؤها تحت
بصره ، وحرصها على المرور تحت ذلك البصر أصيل كل يوم
أوقبل الأصيل . . .

وابتسم راضياً عن نفسه ، وشرب بقية الفنجان . . .

٤

دعاء الوليد

استيقظ مضطرباً على صرخة حادة من ذلك الطفل الذى
يرقد إلى جواره فوق السرير فيزجه وزوجه فيه ، فتقلب فى مرقده
برماً ، ودويفتح عينيه ويقفلهما بحركة سريعة يتبين بها صور
الأشياء حوله فى ضوء مصباح خافت معلق قبالة على مسمار
فى حائط الغرفة المغلقة النوافذ الممتلئة برائحة الكربون المحترق فى
تلك الليلة ، وكانت من ليالى الشتاء التى تدأب نعيمة فى مثيلاتها
على تدفئة الغرفة بوقود من الفحم النباتى تموه رائحته « ببخور
السيدة » « وفسوخ الإمام »

وتبين فى ذلك الضوء الخافت هذه الطفلة الرضيع التى لا يكاد
يحسبها المرء مخلوقاً حياً لولا أنفاس ضعيفة وصرخات قليلة حادة
منقطعة تند عنها على غير ترقب أو انتظار . . . وتبين إلى جانبها
تلك الأم المعروقة اليد والساعد ، المتعضنة الوجه بعض الشيء ،
المتهدلة الشدى والأوراك ، وقد اتخذت فى نومها وضعاً لا إرادياً
باعد بينها وبين إغراء الأنوثة . . .

يا للمرأة ! إنها لم تستيقظ لصراخ ابنتها بعد كد النهار عاملة

في بيتها إثر عملها في بيوت الناس بالكراء . . . لقد عجل التعب لها بعلامات السن !

وظل يتفرس صامتاً في هذه الكتلة الحيوية الملقاة إلى جانبه وهي تغط في نومها غطيلاً غير رتيب ، بينما ابنته — تلك الصغيرة — تبكي وتنشج في غير هواة ولا انقطاع . . . وأما هو فقد كان يتأمل ساكناً في هذا المنظر ، وقد رفع أحد حاجبيه دون الآخر قليلاً ، وقد علا وجهه هدوء لولا التبلد لكان تفكيراً . . .

وأخيراً وضعت الرضيع إبهام يمينها في فمها وسكتت ، وأشاح هو ببصره ونظر إلى السقف ، وأخذ ينقر بأصابعه على عمود السرير الحديدى إلى جوار رأسه نقرًا متوالياً خافتاً ، واستغرق في شروء طويل . . .

وعادت به ذاكرته إلى ليلة الأمس ، إذ آب بعد السهرة إلى الدار . إنه ليذكر الآن تماماً — فإنه لم يفرط في الشراب هذه الليلة — كيف وقف طويلاً في الظلام أمام الباب ، في الجانب الآخر من الحارة ، يتطلع إلى نافذة هذه الحجرة وبابها ، ويسأل نفسه : لماذا هذا المكان بيته دون غيره من هذه البيوت عن يمين وعن يسار ؟ ! لقد أحس بعض الكآبة وعدم الاكتراث

بالعودة ، ولكن كان لا بد من عودة كما هو الحال في كل ليلة . . .
ولماذا يعود ؟ هكذا !

وإنه ليذكر الان تماماً كيف رفس قطعة « أم صالح » التي
وجدتها رابضة بجوار الباب تلك الرفسة القوية في غيظ . . . ليس
يدري لماذا . . . كأنما هي التي كتبت عليه أن يعود كل ليلة ،
وأن يعود إلى هذا المكان دون غيره . . .

وهذا الطعام الغث الذي رآه تحت المصفاة على الشباك . .
إنه لا يزال هناك في موضعه حيث أودعته له نعيمة قبل أن تنام ..
أتحسب لأنها تدفع ثمن الطعام في هذه الأيام أنه يأكل مثل
هذا ؟ لماذا لم ترمه لقطعة أم صالح الجائعة . . لعنة الله على « أم
صالح » . . وعلى قطتها وعلى آها أجمعين ،

لقد كانت ليلة أمس الليلة الخامسة أو السادسة — ليس
من عادة متبولى أن يدقق في الحساب كثيراً ، فقد تكون العاشرة
أو العشرين . . لافرق ! — في صحبة الإخوان في بار السبعة ثم
في مجلس الأانس والانشراح . .

حياة سريع مرور الوقت فيها ، وفي متعة أيضاً . . . فقد عاد
لعابه في تلك الليالي القليلة إلى المسيل بعد أن كاد يركد هذا العام

الأخير من الزواج ! .. أهذه هي الأنثى التي فتنته منذ ست
سنين فبنى بها ؟ وهل هذه « الدربكة » الراكدة الرتيبة هي معيشة
الأسرة ؟ وهذه الطفلة أيضاً : كيف انشقت عنها الأرض على
غير انتظار ؟

ولوى شفثيه ، ..

نعم إنه ينفق كل كسبه في تلك الحياة الحديدية ، ولكن
لا بأس ، فنعيمة كانت تعمل في البيوت غاسلة بالكراء فقيم
تشبثها اليوم بسمت السيدات وهي لن تزيدهن كثيراً ..
واستدار بوجهه إلى الحائط ، وبدأ النعاس يعاود جفنيه ! ..

٥

موء القط ...

قطع عليها إغفائها مواء قطط في الحارة ، كفعل القطط دائماً حينما تتصايح لشأن لها في سكون الليل . . . فاعتدلت في جلستها على الأرض حيث كان قد فجأها النوم ، ونظرت إلى السرير لتستوثق من أنه لم يعد بعد ، ثم قامت إلى مرآة مصباح البترول لترى نفسها ، وهل اضطرب شيء من زينتها تلك التي احتفلت لها أعظم احتفال ليلتها بهذه ، فوضعت - لأول مرة في حياتها - من صباغ الأحمر الرخيص فوق وجنتيها وشفتيها الشاحبتين ، وتكحلت وحنّت يديها وقدميها ، ووضعت من عطر الياسمين « والتمر حناء ! »

لقد هالها ذلك الانصراف من متبولى عنها ، إثر هدأة الشبع بعيد الزواج ، حتى لقد حسبتها هدأة الاطمئنان والألفة ، فإذا الطريق ينشعب هذا الانشعاب الغريب على غير انتظار منها .

ولقد عادت إلى الغسل راضية ، ولقد حملت وحدها عبء نفقة المسكن والطعام لثلاثتهم راضية كذلك ، ولكن الانصراف

زاد ، وزاد مع الانصراف اشفاقها من الزيادة فيه ، فأخذت
 ترضاه ، حتى لقد باعت في العيد الكبير سواراً ذهبياً واشترت
 له بشمها طاقماً كاملاً من الملابس ، وجلباباً من الحرير وحذاء
 جديداً وجورباً ومنديلاً حريراً أحمر يضعه في جيب الجلباب
 ترضية له أو تبكيتاً كالترضية ، فكأنما فتحت له بذلك باباً
 كان من قبل يراه مغلقاً أمام ناظره . . .

فأخذ يسومها المال حيناً بعد حين ، وهي لاتضن به خوفاً
 من فقدانه ، كأنما هي لم تفقده بعد كل فقدان . . . ولكنه
 وراء النفس تنزل عن كل شيء لتشتري بذلك الحسran مؤنة
 الاعتراف بالحسran ، . . .

أهن خير منها هؤلاء الخليلات من بنات الهوى ؟

أهن أجمل منها ؟

أهن أكثر حُباً له منها ؟

لقد تسالت — وقد غطت وجهها — إلى ذلك الحى حيث

يجلس النسوة على عتبات الدور ، فرأت ماذا؟

مساحيق على وجوهه ، ونجراً لامعاً على أثواب

خليعة . . .

وحركات وإشارات تؤدّى في غير داع وإن كانت ترمى إلى غرض . . .

وأسرعت في طريقها . . . وقد انطبعت في مخيلتها هذه الصورة الصارخة الأصباغ .

عادت فمرت ببائع الأصباغ الرخيصة ، وبائع الكحل والحناء ، وبائع العطر الفاقع في الزقاق المجاور ، ودخلت الحمام وأخذت زينتها ثم استشارت مرآة مصباح البترول بعد أن عصببت رأسها بمنديل مرصع بالترتر استعارته من جارة لها ، فأفتتها المرآة أنها كالإحداهن سمياً وشارة . . . فابتسمت راضية وجلست على كرسي وطيء كجلسة إحداهن ، وقد رفعت فضل ثوبها فوق ركبتيها - ياللمسكينة ! لقد أضحي وركها متهدلا من أثر الإرهاق بين الطست والمنزل وسوء الغذاء !

بهذا المنظر الهزيل في فتنه ، الهازل في صورته ، الفاجع في دلالاته ، جلست نعيمة تنتظر متبولي عندما يعود من السهرة ، لتفتنه عن خدينات اللهو وصديقات الشارع . . .

وفي هذه الجلسة غلبها النعاس ، حتى أيقظها تصايح القطط لشأن لها في الطريق . . . وجعلت تنصت لعلها تسمع وقع أقدامه

ولكنها لم تسمع إلا ذلك المواء الدائب الغريب ، فجعلت تنصت
له في صمت وهي تبتسم في بلاهة . . . حتى دهمها النعاس مرة
أخرى وهي على هذه الحال . . .

٦

يقظة الصباح

لم تجتذبه مهارج الزينة التي اصطنعتها له ، بل لقد أثارتها إلى ما لم يقترب معها — رغم كل شيء — ، وهو ذلك الضرب المبرح المغيظ الذي انهال به عليها عندما رآها على هذه الحال ، بعد أن كان يكتفى قيل بالإعراض في مسالة وسكون .

« أولئك بنات الهوى . . . أرغب فيهن ؟ نعم ! أذهب إليهن دونك ؟ نعم ! أما أن تتشبه بهن امرأتى . . فكلا ثم كلا ! تلك سبة وكفران مبين ! »

إنه لم يقل هذا تماماً... فما هكذا تفكير الرجل في دقة ووضوح ولكن هكذا كان منطق عواطف الرجل . .

لم يعد أمامها من باب تطرقه إذن إلا الأشياخ وإخوان العفاريت والجان ، وللشيخ رجب سمعة لو صدقت فهو ذو قدرة لا تخيب !

وسمعت أخيراً وقع أقدامه وقد قارب الفجر أن يطلع ، فسارعت إلى ذلك الماء المسحور الذي أعطاها إياه الشيخ رجب أمس ، فدلقت أمام عتبة الباب من الداخل حتى يخطو فوقه ، وهي

واجفة القلب راعشة اليد ، ثم انكفأت إلى السرير فاصطنعت النوم ، وقد وارتبت جفניה قليلاً لترى ما هو صانع . . .

— وافرحته وشكراً لله ، لقد خطا بتقديمه كليهما فوق الماء المسحور ، ولا يلبث السحر أن يفعل فعله ، ويعود متبولي إلى سابق حاله . . .

هاهو يمشى على أطراف أصابعه نحو السرير . . عجباً ! إنه الليلة غير مخمور ، سرك باتع يا شيخ رجب ، إنه يحدق فيها وفي الطفلة فيطيل التحديق . . لماذا ينظر هكذا ؟ ولكنه هادىء الأسارير . . هاهو يصعد ويرقد . . .

* * *

نظر إلى ذلك العرق الحشبي الممدود في السقف الذى طالما نظر إليه كلما صحا في الليل وخال بخاطره أمر من الأمور . . لقد كانت هذه أول ليلة منذ شهور عديدة لم يسهرها مع الإخوان في بار السبعة ثم عند « عزيزة الزعكة » أو « إحسان الحش » .

لقد قضى هذه الليلة وحيداً في قهوة « الترسو » في محطة « باب الحديد » . لا يدرى لماذا ؟ إنه مكان لم يطرقه من قبل ،

فهو لم يغادر القاهرة في حياته أبداً ، ولكنه هكذا وجد قدميه
تسيران به .

لقد مل هذه الحياة . . ماذا ؟ بل إنه لم يعد يطيق هذه الحياة
لقد فرغ ثمن آخر سوار هذه المرأة الراقدة الآن إلى جواره ،
بعد حلقتها وكردالتها وقصبه برقعها وخلخالها القشرة . . .
لقد كانت تستبقه بالثمن ، وبالثمن أيضاً كان هو يحصل على
غيرها ويستبقين ! .

لم يشعر باشمئزاز ، كلا . بل بمجرد رغبة في الانصراف عن
هذه الوتيرة ، فإنه يريد أن يرى نفسه مرة أخرى قبل فوات
الأوان « عترة » ومنى صبية غريرة بضعة لم تعرف الرجال . . .
وذكره هذا بأول بخته مع نعيمة . . .
ونظر إليها طويلاً . .

كم تغيرت الأيام ! أما هو — معاذ الله — فلم يتغير !
وماذا يستطيع هو مثلاً أن يصنع للقدر إذا شاء أن تتغير
الأيام ؟ أعله قادر أن يغير المكتوب ؟
وهز كتفيه وهو راقد ، وقال لنفسه بصوت يكاد لا يسمع :
— أبداً !

ونظر فوق رأسه إلى (شيش) النافذة ، ثم دفع بيده في
 كتف امرأته — التي لم تكن قد نامت بعد — وهو يصيح بها
 ليوقظها :

— خلاص يا امرأة خلاص ، لقد طلع النهار !

٧

رتيبة . . . بائعة اللادن

في خفة ظاهرة أقبلت ترص بضاعتها صدر الضحى ، على
الرصيف المواجه لمكتب البريد ، وهي تدندن بأغنية شائعة في
تطر وتحرك مع النغم رأسها ، فيهتز لتلك الحركة ما علفت في
رقبتها من حبات الكهرباء الكبيرة ، ويتماوج الترتير الكثير الذي
يتدلى من عصبتها الجنزارية اللون المائلة على جبهتها السمراء
لتسمح لتلك الخصلات من الشعر ذى الصباغ الأصفر الفاقع
أن تبدو للناظرين فينسجم لونها مع السن الذهبية في جانب الفم
المفتوح دائماً إما بالابتسام ، وإما بالكلام ، وإما بمضغ اللبان !
وسوت صدرها بيديها حتى تبدو تفاصيله من ذلك الثوب الأسود
غير المحبوك الذى لا يخفى نسيجه القميص الأصفر من تحته ..
ومر بدير بائع الصحف الأعمش ، فقال عليها وهي جالسة
على الرصيف تعبت بميزانها الصغير ، وهمس لها بضع كلمات
في نظرف ، وهو « يربش » بعينه ، فضحكت البائعة الصغيرة
ضحكة ممطوطة رنانة وصاحت

— شوفى ياختى الواد ، اختشى يا واد انت ، يادى النيلة !

وانطلق « الواد » فى طريقه مسروراً بهذه الغزوة الصباحية ،
 وغادت هى إلى أغنيتها الشعبية ، وإلى نش الدباب ، وهى
 تنظر بين لحظة وأخرى إلى منعطف الطريق كمن ينتظر شيئاً
 معلوماً . . ثم أخذت تصلح من جلستها ومن شعرها ، وهى
 تتشاغل بالنظر إلى اللادن ، ثم وقفت أمامها كسوة صفراء ،
 فرفعت نظرها كمن فوجئ بما لا يتوقع ثم قالت :

— بسم الله الرحمن الرحيم . . . صباح النور ياسى ابراهيم . .
 وأجابها صاحب الكسوة الصفراء ، وهو يبتسم عن فم واسع
 وأسنان سود تحت شارب حديث الصباغة ظاهرة فيه تلك
 المعاجين التى تستعمل فى التطرية والتثيت ، وفى صوته بحة
 كششنة الإناء المشدوخ :

— . . . الفل على عيونك !

ولم تكن ترى عينيه ، لأنهما بحيث لا يميزهما المرء بسهولة . .
 ولكنها أحست أن تحت هذين الحاجبين المصبوغين عينين
 تحدقان فيها بخليط من الإعجاب والسرور والرغبة . .

وهى لا تدرى لماذا انصرفت عن كل ما فى وجهه المائل فوقها
 وهى جالسة ، لتنظر فى اهتمام إلى الزر الكالح المتدلى فوق أذنه

اليسرى ، والذي كان يهتز مع كلماته وضحكاته التي تشبه رنين
 الإناء المشدوخ ، ولعلها كانت تفكر في نفسها : لماذا لا يصبغ هذا
 الرجل زرطربوشه أيضاً ، فإنه هو الآخر قد شاب ! ..
 — فصين لادن من يدك الحلوة !

وناولها قطعة من ذات نصف القرش ، وضعها في كفها وهو
 يغرسها في لحم يدها غرساً .

ثم تناول اللفة الصغيرة ومشى ، وهو يزن خطوته وزناً دقيقاً ،
 وتابعته هي بنظرة فيها زراية وضحكة مكتومة وهي تقيس من
 ظهره قامته التي أجهد نفسه مطها مطاً ، وهمست بكلمة
 ذكرت فيها بعض أهله ، ثم رفعت صوتها الرنان تنادى على
 « اللادن » ، حتى يسمع وهو في مكتب البريد نبراتها الممدودة ،
 لتزيد شيخوخته المموهة اضطراباً وحرقة ، ولتزيد في المساء
 مقطوعيته من الصباغ والمعاجين ومجددات الشباب وبقية ما
 يبيعه العطار لمن يحسون وطأة الزمن وهم بعد متشبثون بأطوار الصبا
 في إصرار متزايد ولحفة تشبه الجنون .

واعتدلت فجأة في جلستها ، وغطت بفضل ثوبها المتهدل
 مفرق ثديها ، وغضت من بصرها في اصطناع يقرب من

الصدق ، ثم اقتربت منها خطوات المركوب الضخم ووقع عليها
ظلٌّ منبسط عريض ، ووضع متبولى طبليته إزاءها في سكون وقال :
— كيف الحال ؟

فرفعت إليه بصرها في تطلع تموه له بالحياء ، ثم غضته سريعاً
وقالت ولم تزدد :

— معدن . . .

وبرم هو شاربه في زهو . . . وأخذ يتفرس في هذا الشعر
المصبوغ ، وهذه السن الذهبية ، وهذا الثوب الذي يشف عن
القميص الليموني المشغول ، وفي هذه الخلاعة الخافية البادية ،
وهذه العين التي لا ترتفع إليه لأنها تحس طغيان رغبتها في
التعلق برسمه الوسيم . . . فابتسم وتنحنح ، وجعل يخبط
بساطوره « الطبلية » الغليظة فيحدث صوتاً متتابعاً خشناً ، وباع
لهذا الزبون وذلك ساعة من الصباح ، وهو لا يتحدث ولا تحدثه
إلا نذرا ، وإلا حين يقدم إليها بعضاً من طيبات بضاعته بين
فترة وأخرى . . .

زاقه في استواء الكهولة أن يرى خلاعة بادية تتخفى بقدر
ما تعفى موروثاته من التجريح ، وتبدو بقدر ما يوائم ما فوق

الثلاثين ودون الأربعين من إثارات شبيهة بما عهد في النساء المدربات على استهواء الرجال ، ومن تحشم يرضى أثرة الرجولة ويشعرها بمنعة الحوزة وصيانتها وبوجود الحمى الذى ينفرد هو بالسهر عليه .

وبرم شاربته وهو ينظر إليها فى زهو وكأنه يقول :
 — أعلى أنا يجوز هذا الحياء ؟ أنا وحدى أفهم هذه الطراوة وهذا التكسر فى الجفن وهذا التخلع فى الجلسة والإشارة . . .
 إن هذه الطراوة ترضينى ، لأننى أنا أعرف معناها .
 وسعل فى صوت جھير ، سعال من يعرف كيف يعبر عن قوته واعتزازه بها حتى عن طريق هذا العرض من أعراض المرض والإعياء . . .

وحمل طبيته وقال لها :
 — بنت يا رتيبة . . . أمك فى البيت ؟ العصر يمكن أفوت . . .
 ابنى قولى لها . . .

ومشى يضرب الأرض فى مشيته ، ولو أنه كان ذا ذنب لكان اهتزاز ذلك الذنب وثيداً فى قوة واعتداد ! . . .

٨

العودة من الدفن . . .

انقطعت الجلبة بعد انصراف المعزيات من الغرفة العارية تماماً
إلا حصيراً مفروشاً على أرضها ، وموقد البترول في ركن منها ،
والطراحة والمصباح الصغير ذى المرأة على مسماره المعهود ، وقليل
من آنية النحاس . . . قليل جداً : مصفاة وحلتان وصينية القلقل
والستارة الناصعة التي لم تشأ نعيمة أن تفرط فيها كآخر علامات
المتعة والستر ، ترفعها للعالم أجمع من هذه النافذة . . .

لم تقم لتغلق النافذة كما كانت تفعل كل مساء ، فإنها الليلة
متعبة قليلاً ، وتحس جسمها ثقيلاً كأنه كيس من الرمل ،
ولم توقد مصباح البترول لأنها متعبة ولأنها أيضاً لا تريد مزيداً
من النور فإن ضوء القمر الباكر يكفي ، ثم هي لا تريد أن ترى
شيئاً ما ، ولا يعينها أن ترى شيئاً ، فهي جالسة في الركن على
الأرض هكذا ، وقد ضمت ركبتيها إلى صدرها ، وأسندت
رأسها فوقهما ، وأغلقت عينيها كمن يهيم للنوم . . . ولكنها لم تكن
نائمة .

وكل ما هنالك أنها تجهد ذهنها لتفهم ما دار حولها وما حدث

لها طيلة ذلك اليوم . . . إنها تحاول أن تفهم ، وأن يكن كل ما حدث أموراً بسيطة واضحة سهلة الفهم جداً . . . إنها تعرفها كلها ، كل أمر منها على حدة ، ولكنها مع هذا لا تفهمها .

ونظرت حولها في الغرفة . . . لقد كان ضوء القمر الباكر أكثر مما يلزم لرؤية كل شيء فيها . . .
لقد كانت راقدة هناك ، في هذا الركن البعيد من الغرفة ، عند ما دق بابها في الصباح ، وقيل لها إن أمها « مبروكة » قد ماتت في المعزل . . .

لقد وجمت ساعتئذ قليلا ، وكررت السؤال :

— ماتت ؟ ماتت حقيقة ؟ !

وهل يمكن أن يموت الإنسان إلا موتاً حقيقياً ؟ لقد خيل إليها مع هذا أن أمها الجذباء العجوز يمكن أن تموت ، وأن يكون موتها غير خالص ، فتجلس رغم موتها في مكانها المألوف تبيع الفول النابت وتنظر إليها بعينها الوحيدة التي لا تزال ترى بها نور الدنيا نظرتها السريعة النافذة تلك ، ثم تهر رأسها وتقول :

— والله انبريت يا نعيمة يا بنتي ! لو كان عاش لك أخوك

عبد الحى ! .. الرجال أقوياء ما لهم إلا القوى .. الصبر طيب يا نعيمة

لقد كان يخيل إليها أن موت أمها ليس بحارمها من هذه اللحظات القصار مع أمها ، ومن هذه اللمسات الرفيقة التي تعودتها منها يوماً بعد يوم ... ولكن موت أمها كان موتاً خالصاً .

لن تستطيع العجوز المسكينة أن تنظر إلى ابنتها إذن هذه النظرة ، وأن تجلس بحديثها وقصعتها في جانب الطريق ... لا تذكر هل صرخت عند ما أيقنت بموت أمها الخالص الموثس هذا مع الصارخات من الجارات ، ولكنها تذكر أن ذلك اليوم كان زاخراً بالصراخ طول الرحلة إلى المعزل .

وهناك لم يدعوها ترى أمها ... فعادت في ذلك الموكب الصارخ إلى هذه الحجرة نفسها ، لتعقد مجلس العزاء ... وفي هذا المكان عينه جلست ، وجلس النسوة من حولها ، يصرخن شوطاً بعد شوط ، وقد تطوعت إحداهن بالنواح ، يوقعن على نغماته الحزينة بالالتدام والتصفيق الرتيب .

لقد سمعت في أمها ذلك اليوم من الصفات ما لم يكن ينظر

ببالحا أن توصف به أمها يوماً من الأيام . . .

— يا خسارتك يا مبروكة يا أم عبد الحى ! يا صغيرة
يا اختى يا أم عبد الحى ؟ يا حلاوة لفتك فى الملمس يا أم
عبد الحى ! . . .

لقد كانت تنظر إليهن ببلاهة ، وهن يقلن هذا ، وتحقق
فيهن ، ولكنها لا ترى على وجوه القائلات سخرية ولا شماتة ،
بل كن يعنين هذا القول . . .

ولا تدرى لماذا ودت من صميم قلبها لو أنهن ذكرن لأمها
حديثها تلك التى انفردت بها دون سائر الأمهات . . . فإنها
لتحس أن ذكر تلك الحادثة خليك أن يثير اللوعة فى قلبها على
أمها الشوهاء أكثر من كل وصف آخر بالأناقة والحلاوة وحبكة
الملبس الملفوف . . .

لماذا لا يذكرن أنها عجوز ؟ فإن ذكر هذا كان أوجع للقلب
من وصفها بصغر السن وغضارة الإهاب . . .
وتنهدت وهى تذكر هذا . . .

من لها بنظرة أخرى من عين أمها الواحدة ، ونظرة إلى
حديثها الكبيرة الظاهرة التى لم تكن تحاول إخفاءها — لأنها

لم تكن لتخفى ! — ومن وجهها الذى غطته التجاعيد وخطوط الزمن .

هذه الأسنان التى سقطت ، والعظام التى برزت والتجاعيد التى ارتسمت فى عمق على جبينها وخديها . . . أوجع لقلبها من كل صفات الجمال والشباب ، فإن الجمال والشباب تفه كله . . . تفه ومضحك أيضاً ، حين يقاس إلى هذه المأساة التى تحسها فى قلبها بفقد تلك العجوز الشوهاء فقدماً لالقاء بعده . . .

وانسابت فى سكون على خدها الدمعة الأولى التى ذرفت على أمها ذلك النهار . . .

وقامت تفتح لطارق دق الباب .

إنها « أم صالح » جارتها ، ترد إليها ابنتها التى قاربت العام من سنّها والتى كان بنات أم صالح الكبيرات يعنين بها اليوم كله . . .

لقد كانت نائمة ، فأخذتها « نعيمة » على ركبتيها وجلست حيث كانت جالسة وأخذت تنظر إلى نقش ملون باهت فى الحصى . . .

ماذا بقي لها من دنياها ؟

هذا الحصر ، والحشية ، وهذه الآنية . من النحاس ،
والموقد والمصباح ، وهذه البنية ، والستار ذى الثقوب . . .
ونظرت إلى الستار . . .

وذكرت في هذه اللحظة — لا تدري لماذا ، فليس هذا أنسب
الأوقات لمثل هذه الذكريات ، ولكن الإنسان يذكر أحياناً
أشياء في أبعد الظروف عن مناسباتها — ذكرت كم تمتت هذه
الستارة طول صباها ، وكم تمتت معها للجيران ابناً ظريفاً مراهقاً
مصفف الشعر يذهب إلى المدرسة ، ويجلس عصر كل يوم في
الشرقة المقابلة يتصيد نظرة منها وهي تضع صينية القلل أو تسقى
أصص الزهر والنعنec العبق المصفوفة على نافذتها الصغيرة . . .

لقد كانت لها الستارة ، وصينية القلل ، وأصص الزهر
والنعنec ، أما الجيران فلم يكن لهم ابن جميل ولا غير جميل . . .
وامتلاً قلبها بالسخط والنقمة على حظها التعس . . .

ولا تدري لماذا نقت هثدا على الدنيا ذلك الجرمان الذى
يبدوتافها لا يمت إليها بصلة مباشرة وثيقة . . . لقد أحست بالنقمة
كلها تتجمع في صدرها ، هى التى لم تحس نقمة كبيرة على

الدنيا عند ما أيقنت بموت أمها . . . موتاً خالصاً أيضاً ولا رجعة فيه .

أما أصمص النعنع والزهر فقد أتلفها صبيان الحارة الشياطين ، ولكنها هزت كتفها ، فما يعنيتها الآن هذا ، والجيران ليس لهم ولد ، بل كلهم بنات ، بنات ، بنات دائماً وفي كل مكان . . . وطفقت تبكى في مرارة وعنف . . . حتى دهمها النوم وهي جالسة ، وابنتها نائمة على حجرها ، وقد جفت دموعها على خدها الكالح الحزين ، وضوء القمر الباهت قد غطى المكان . . .

٩

الحاج محمود قصير الديل . . .

عادت بحملها الثقيل إلى المنزل

لقد كانت تحمل ابنتها ، ولكن الناظر إليها من خلف وهى سائرة ، كان يحسبها تحمل عشرة أضعاف ما تزن هذه الطفلة الهزيلة الصموت عن كل مناغاة إلا صرخات منقطعة قصيرة تسكت فجأة كما ارتفعت فجأة ، وإيهام يمناها فى فمها معظم الأحيان : يقظى ونائمة . قاعدة وقائمة .

لقد كانت تحمل فى الواقع أيامها وانتهت وتعب يوم آخر إلى الغرفة العارية .

ودخلت فشقت طريقها إلى النافذة ففتحتها ، إلى موقد البترول فأوقدته ، وانصرفت إلى عمل قهوة الغروب ، لتقرأ أيضاً طالعتها فى الفنجان كما تعلمته من جاريتها العجوز « أم صالح » .

وسمعت نقرأ خافتا على الباب ، كأنما صاحبه متردد بين الدخول والإحجام .

وأنزلت « التنكة » من فوق الموقد ، وهى تسأل نفسها من

يكون الطارق ، فليس هذا حسن . طريقة أحد ممن تعرف من
الحارات واللاواتي يرتدن حجرتها كل مغرب وعشية للثرثرة ، أو
لاستعارة قليل من الملح أو « تلقيمة » بن أو موقد البترول « غلوة
واحدة بس » .

ومضت في عجلة واستطلاع تفتح الباب للطارق الذي لم يكرر
الطرق على غير عادة سكان هذا الحى إذا أنسوا انصرافاً عن
استجابة الطريقة الأولى .

وقراها السلام رجل فيه كبرة وتوقر ، وفى وجهه شىء من
التوحس يحاول اخفائه بابتسامة واسعة لا معنى لها مع تلك
النظرة القلقة التى ألقاها عليها وعلى الغرفة من فوق كتفها فى
سرعة ثم ردها إلى وجهها ثانية .

ودعته إلى الدخول ، وإلى الجلوس فوق الحشية التى أضحت
أثاث الغرفة الوحيد عدا الحصير وآنية النحاس والستار وموقد
البترول .

وجلس الرجل القرفصاء ، وجعل عصاه بين ركبتيه ينكت
بها الأرض ، وهوينظر إلى حذائه البالى ذى الرقبة و« الأستك » ،
ثم قال كمن يريد أن يقول شيئاً يقطع به السكون .

— سلامات يا ست نعيمة . . .

— أهلاً وسهلاً ، حصلت البركات . . .

ونخصته بفنجان القهوة من دونها ، وتربعت على الأرض
قبالته وهي تنظر إليه نظرة استطلاع فاحصة .

— أنا الحاج محمود قصير الدليل . . . شيخ الحارة .

— أهلاً وسهلاً . . . خير ان شاء الله .

— خير . . . أى نعم خير . . .

وشرب بقية الفنجان جرعة واحدة ، كأنما يريد أن ينجز
هذه المهمة قبل أن يتكلم فى موضوع حضوره فينقطع عليه
طريق شرب بقية الفنجان . . .

ومن يدرى . . . فلعلها ساعتئذ تخطفه من يده قبل أن
يشربه ، أو تصرخ فتلم الجيران والجارات ، ولا يبقى أمامه
من سبيل وسط هذه الضجة لشرب هذا الفنجان المغرى ذى
الرائحة الفاغمة . فلقد شهد مثل هذا فى مثل هذا الموقف ،
وعلمته التجربة الطويلة أن يتوقع أى شىء وألا يستبعد أمراً
من الأمور .

ومسح فمه بظهر يده ، وهو يحرك شفثيه مستجمعاً بقايا القهوة

من بينهما متحلباً إياها بلسانه ، ثم تنحنح وقال بسرعة عجيبة
لا تنتظر ممن كان في مثل سنه ، كمن يخشى أن يقف به لسانه
دون نهاية الشوط لسبب من الأسباب :

— كل شيء قسمة ونصيب ... وإلا ماذا ؟ أى نعم
قسمة ونصيب ... النهاية بقي ... خلاصة الكلام إن « سى
متبولى » ... إيوه سى متبولى بعث لك الورقة هى معى وعلى كل
حال ربنا عنده العوض ، وانت لا تزالين شابة والرجال كثير ...
ويمكن يكون خيراً يا بنتى ... ؟ أى نعم يمكن يكون خيراً ...
ولعكم تكرهون شيئاً ... وإلا ماذا ؟ يمكن يكون فيه عدل فى
واسع علمه ... هى قسم ... قسمة ونصيب .

وانصفق الباب ... وكانت الورقة مطوية فوق الحشية
القدرة ، وكانت هى تحقق فى الباب ، وهى تصغى لوقع
خطواته الثقيلة مسرعة يخالف بينها بوقع عضاه على أرض الحارة
الصماء ...

أهذه هى النهاية إذن ؟ ...

أهذا كانت زيارته لها أول من أمس ، بعد غيبم طويلة ،
ومبيتة معها ، وترفقه بها تلك الليلة فى حال كان قد انقطع عهدها

به من زمن ، حتى تجدد لديها الأمل أن يكون قد تشوق إلى محاسنها .

محاسن ؟ أى شيء هذا الذى بقى من جسدها الخزيل المتداعى ؟

لقد كان لقاء الوداع كمن ينظر فى خطاب قديم لا قيمة له ، ليستوثق من تفاهة أمره قبل أن يمزقه أو يلقى به إلى النار .

لقد كانت تنظر إلى الباب الذى أغلقه الحاج محمود خلفه ، وظل بصرها معلقاً بالباب المغلق الذى خرج منه الحاج محمود كما خرج منه رجلها منذ يومين

رجل خرج وأغلق الباب وراءه . . . ونخطواته السريعة ترن مبتعدة حتى تتلاشى

ماذا فى حياتها الآن غير هذا ؟

وتنهدت ، ثم حولت بصرها إلى « حياة » النائمة فوق ركبتيها . وأخذت تنظر إليها فى بلاهة وصمت ، وقد خيم الظلام على المكان

١٠

هدية القدر...

قاربت الشمس أن تغيب ، وهي جالسة على طرف الطراحة
وقد اعتمدت رأسها على راحتها ، تنظر إلى ركبته أو يبدو كأنها
تنظر إليها ، ثم تلتفت بين حين وحين لتلقى على الطفلة الراقدة
على مقربة منها نظرة قلقة غامضة فيها غير قليل من التبلد
وعدم الإدراك . . .

لقد كانت الفتاة نائمة نوماً غير شاذ في مظهره ، فهي لا تتلوى
ولا تصرخ . . . ولكنك لو دقت النظر في وجهها لوجدت دملا
صغيراً بين عينيها المغمضتين ، هنا في أعلى الأنف حيث
يتصل بالحبهة .

كان دملا صغيراً كغيره من الدمامل الصغيرة التي يمتحن
بها الناس والأطفال خاصة في مثل هذا الحى .

ولكن الفتاة عافت الرضاع منذ يومين ، وانقطع أو كاد
ذلك الصراخ الذى تعود أن يند عنها فجأة وينقطع كما ارتفع
فجأة ، وهي اليوم ساخنة لم تفق من نومها هذا ولم تنتبه أبدا
رغم محاولات أمها. الكثيرة ، التى انتهت بها إلى الدهشة

والقلق وتسليم التبدل والانتظار

وإن جبينها لحار شديد الحرارة ، فاوأنك فكرت في امتحان الفتاة بالمقياس لأشار الزئبق إلى درجة الحمى المرتفعة ، ولكن نعيمة لم تكن تعرف المقياس ولا هي فكرت في شيء من ذلك ولا أحست بحاجتها إليه ، بل إنها لم تفكر في أن تصنع للصغيرة شيئاً ، لأنها لم تفهم شيئاً من هذه الحالة الطارئة الغريبة ، ولم يقلقها أبداً ذلك الدمل الصغير ، ولم يخطر ببالها قط أن يكون له أدنى صلة بهذا العارض الذي ترزح تحته الفتاة منذ يومين .

وقامت إلى مصباح البترول فأشعلته ، ثم انكفأت إلى مكانها في صمت وحيرة .

ودفعت الباب « أم صالح » ، ودخلت تحوّل وتبسم وفي يدها طبق من الصاج يتصاعد منه خيط من الدخان ورائحة بخور رخيص .

ورفعت نعيمة عينها إلى القادمة ، وتابعتها ببصرها حتى جلست إلى جوارها على الطراحة ، ومدت ساقها أمامها ، ووضعت حملها الثمين في عناية وحرص على الحصير بينهما ، ثم

أخذت تمزق قطعة من ورق الصحف فجعلت منها « عروسة » طفقت تخرقها بإبرة أخرجتها من ثوبها عند الصدر ، ثم دارت بالعروسة حول رأس الفتاة الغائبة عن الصواب دورات سريعة وهي تتمم بأدعية وتعاويد ، وقد أضنى ضوء المصباح الخافت على وجهها المجعد الحامد النظرة وشعرها المصبوغ بالحناء رهبة وغموضاً كأنها ساحرة عجوز لا تنقصها المكينة كي تطير أو تصنع الأعاجيب .

ثم ألقت بالعروسة في النار ، ورفعت الطبق فجعلت تطوف به حول رأس الفتاة وجسدها سبعاً ، ثم أعادت النار إلى مكانها من الحصير ، وألقت فيها قطعة من الشب جعلت تفور كما يصنع الشب إذ يوضع في الجمر ، ولكن الفوران هنا كان ينظر إليه كعجبية من الخوارق تكمن وراءها قوى غامضة من عالم غير منظور ، وإذا الشب قد تشكل تلك الحاسدة اللعين التي أصابت الطفلة بشر عينها الصفراء . . .

وجعلت تتأمل قطعة الشب هنيهة ، وقد قربتها من عينها الخائيتين ، ثم شهقت وسحقته في كعب المريضة الأيسر ، وجعلت المسحوق في خرقة صغيرة أحكت رباطها ، وخرجت لترميها

في مفرق أربع حارات ، حتى تأخذ أقدام الناس هذا الداء إلى مكان سحيق

كل هذا والفتاة غارقة في غيبوبتها ، وأمها جالسة ترقب ما تفعله العجوز في صمت وأمل ، ثم قامت فجاءت بماء اطفأت به جذوة النار وهي تشفق ثلاثاً

وعادت أم صالح من مهمتها فجلست تثرثر بصوتها الهزيل المرتفع كتنقيق الضفدع ، وتقص على « أم حياة » قصصاً متشابهة لا ينتهي عن مرضى لم يعرف أحد ماذا أصابهم ، ولم يستطع نطس الأطباء ، حين استدعوا ، أن ينتهوا إلى قرار أو علاج ، ولكن « الأثر » استطاع أن يهدي إل علة العلل في هذه الأدوية المعضلة ، فإذا به « عمل » مدسوس في مجرى ماء أو مدفون تحت عتبة الدار ، فلا ينقطع المرض ما دام « العمل » قائماً أو يشفى بصاحبه على الهلاك

وفي كل قصة من هذا القصص الرهيب كانت رأس نعيمة تدور ، وكانت نفسها تضطرب ، وعينها تزوغ جزعا ورهبة ، فلا بد أن ابنتها مريضة بفعل سحر مدفون ، فإن مرضها يبدو غامضاً جداً غير مفهوم ، بل هو لا سبيل إلى فهمه : فالفتاة

لا تسعل ، فهي إذن غير مصابة ببرد ، وهي لا « تسهل » فهي إذن غير مصابة بداء في الجوف ، فلا بد أنه السحر ، ولا بد أنه كيد « رتيبة » ، تلك اللعوب التي عقد متبولي عليها وإن لم يزف إليها بعد . . . فلا شك أنها تخشى أن يعود متبولي إلى زوجه القديمة لأنها أم ابنته ، فإن هذه الابنة مظنة انعطاف بين الزوجين القديمين في يوم من الأيام ، وهي على كل حال صلة باقية بينهما لا سبيل إلى فصلهما إلا بالقضاء على هذه الطفلة الصموت . . .

وهل يبعد على من كانت شريرة مثلها أن تقدم على مثل هذا الكيد الحقير ؟ . . وما أسهل هذا ، فهي دائماً في الخارج تغسل في البيوت ولا تعود إلا آخر النهار ، ففي استطاعة « الأخرى » أن تحضر في غيبتها وتدس ذلك العمل في فناء الدار حيث تعبر هي بضع مرات في النهار .

وانتهت « أم صالح » إلى حيث تريد من هذا القصص الطويل المخيف ، فاقترحت عليها أن تأتيها « بالحاج عطية » ، وهو رجل صالح و « مخاوي » ، متزوج بإحدى بنات ملوك الجن ، تأتيه كل ليلة فتبيت معه حتى الصباح ، لا يراها أحد أبداً ، وقد

أنجب منها بنين كثارا ، تربيتهم هي في مملكة أبيها تحت الأرض ،
وتمنعه أن يمس امرأة غيرها ، فهي تغار عليه غيرة شديدة
شعواء

ولكنها تعلم أنها لا تأتيه هذه الأيام من العام ، لأنها في
المخاض تحت الأرض ، ذلك المخاض الذي لا يخطؤها أبداً
هذا الوقت من العام ، والذي ينتهي دائماً بابن جديد بارع
الجمال خارق الأوصاف لهذا الغرام العجيب بين إنسي ومملكة
من ملكات الجن !

وهي لهذا تقترح أن تدعوه توأ ، وأن تلح عليه في الرجاء
لعله يرضى ، بل هي لا تشك في أنه لا يرد رجاءها أبداً ،
لما لها من منزلة عنده ، ولأنه أخبرها يوماً أن زوجه الجنية قد
أوصته بها خيراً ، وقالت له أنها لا تجب من نساء العالمين
إلا « أم صالح » فهي امرأة لها في مملكة الجن مكانة ومقام . . .

* * *

وعادت بعد قليل بصاحبها ، وهو كهل في استواء العمر له
لحية كثة وعينان زرقاوان واسعتان تتحركان بسرعة وتختفيان

بسرعة أيضاً تحت جفنين مهديلين ينبئان عن طبيعة حذرة
ماكرة . . .

وقامت نعيمة فقبلت يده ، وجلس هو على طرف الطراحة ،
ثم تناول الطاقة التي تلبسها المريضة الغائبة عن الصواب ، فجعل
يتمم عليها ويحوّل ، وينشرها في يده ثم يطويها ، ثم يقيس
بالفر حيناً وبالأصبع حيناً ، ثم تنحنح وهز رأسه كمن انتهى
إلى كشف عظيم . . .

وتعلقت نعيمة بشفتيه ، وطال انتظارها لما يخرج منها بضع
لحظات بدت لها عمراً ، ثم عاد إلى القياس مرة أخرى مع
التمتمة والحوقة ، ثم رمى الطاقة من يده في حلق وصاح
بالمراأتين :

— الملك الشعرائى . . . الملك الشعرائى الأحمر صاحب مدينة
النحاس ، لابس جشها ، ولا يمكن يفوتها إذ لم يموتها . . .
وما الفائدة من دعوتى الآن ؟

وقام كمن يريد الانصراف .

فقامت « أم صالح » على يده تقبلها ، وانحنى نعيمة على
قدميه تمسحهما بخديها ، وهما تستشفعان بالأنبياء والأولياء

وملوك الجحان أن يبقى وأن يحاول إنقاذ المريضة .
 كادت نعيمة تجن ، فإن في يده إنقاذ حياة ابنتها ،
 وإنقاذها هي من شماتة الضرة المرة . . . على السواء . . .
 وأخيراً لان وجلس وهو يقول : « ولكن هذا عمل متعب ، وأنا
 رجل كثير الأشغال ، وعندى أعمال كثيرة لباشوات وناس
 كبار » .

فانحنت « أم صالح » على أذن نعيمة وهمست لها أن
 تسرع فتدس في يده مقدار « نصف جنيه » تغريه به على العمل
 لإنقاذ ابنتها .

« نصف جنيه ؟ » ولكن ليس معها إلا أحد عشر قرشاً
 قرشاً ونصف هي كل ما تملك . . . فدارت « أم صالح » بعينها
 الحبيثة في الغرفة وقالت لها :

— أليس عندك نحاس كثير ؟ . . . أقوم أوصل الحلة
 الكبيرة وصينية القلل لغاية بيته ، وهو على كل حال رجل طيب
 وفي قلبه الرحمة بالناس الفقراء . . . »

وقامت فهمست في أذن الشيخ ، وجعل هو يهمس لها أيضاً
 ويشير بيده كالغاضب المتمنع . وأخيراً . قبل ، فقامت « أم

صالح» وغمزت نعيمة أن تشكر الشيخ وتقبل يده ، وهى : هو رأسه كالمتنازل الذى يعرف فى نفسه هذا الضعف ولين الجانب للفقراء . . . ولكن ماذا يصنع وهكذا خلقه الله ؟ . .

وأخذت «أم صالح» الحلة وصينية القلل وخرجت بهما مسرعة الخطو إسراعاً لم يعهد فيها من قبل ، وهى التى تمشى فتتكفاً فى مشيتها تحت وقر الثمانين أو تزيد . . .

واستأذن الشيخ يمشى إلى داره للاستعداد لعمل الحجاب ، ولكتابة ثلاث ورقات تستحم الطفلة بمائها على ثلاثة أيام ، وسيرسل هذا كله مع «أم صالح» عند إشراق الصباح ، لأن الغاء السحر القوى وسلطان الملك الشعرانى الأحمر يستلزم عملاً شاقاً واستعانة بملوك أقوىاء من الصعب استحضارهم دون وساطات وجهاد طويل

* * *

وأغفت وهى جالسة ، ثم أفاقت فجأة عند ابتلاج الفجر كالمدعورة ، وقد أحست كأن شيئاً يقبض قلبها قبضاً ، فإذا للفتاة المريضة شخير واهن مرعب . . . فتبلجت الحقيقة القاسية أمام عينيها ، وصرخت من أعماق قلبها الصريع وجعلت تشد

شعر رأسها في عنف وثورة .

واقترحت الجارات الباب ، واقتربت هي تقطر من ثديها قطرات في فم المحتضرة الصغيرة ، تبلل بها حلقها لتهدئ عليها غصص الموت ، لأنها هي قد أحست في حلقها غصة مرة لا تذهب بها قطرات ولا بحار...

وفتحت الطفلة عينيها ثم أقفلتهما ، وسكتت الحشيرة ، وانقطع ذلك الإرتفاع والهبوط اللذان كانا يتداولان صدر المحتضرة الصغيرة...

وأخذت الأم نوبة من الالتدام الهائج ، ثم انطرحت على الأرض بين النسوة بغير حس ولا حراك...

* * *

وأفاقت من اغمائها ، فوجدت ضوء النهار قد ملأ الغرفة ، والنسوة من حولها ، والميثة الصغيرة مسجاة في جوارها على الطراحة وقد غطيت بملاءة بيضاء من قمة الرأس حتى القدم ، وقد انحنى فوقها رجل راكع إلى جوارها ، على رأسه قبعة حمراء ، وكسوة كالتى يلبسها رجال جمعية الاسعاف :

وابتسم الرجل في وجهها ابتسامة المطمئن الودود .

— ربنا معوض مخلف يا ست . . . لا تحزنى ربنا عوض
 عليك . . . ربنا كبير صحيح . . . أنت حامل فى شهرين !
 وغابت مرة أخرى عن الصواب ! . . .

١١

الوحدة...

فراغ كالعدم من كل جانب .

أمانى الصبا تراود هذه الوحدة القاسية ، وما أكثر ما ترود
الأمانى وادى العدم والخسرات . . . فإذا بلمعاتها المشرقة الحميلة
عيون صلال سود تحف في كل سبيل بمواطئ الأقدام ، وإن
كانت أنيابها الناهشة تُحس في القلب المحترق الذى نخره دود
الزمن ، فإذا الرسوم الحميلة التى رسمتها يد الربيع الغض قد غدت
كلها كلوماً محترقة كوشم من نار لا تهدأ لدعته ولا تغسل مرارته
الأيام . . .

فراغ يسلم إلى فراغ ، وعدم ينتهى إلى عدم . . .
تلك أيامها ، ظللها الموت بجناح من فوقها وهماوية تحت
قدميها ، وحفها الخيبة بقروح وأوجاع فى حناياها ، وبأخوات
لها تتراعى عن يمين وعن شمال تترقب مكنأً جديداً تستقر
فيه بين الضلوع . . .

وماذا بقى لها فى هذا التيه المظلم من ظل وادى الموت ؟ لم يبق
لها ركن من قلبها تستقر فيه الجذوة السماوية التى تدفع الناس إلى

الأمام ، حتى عند ما لا يكون هناك أمام . . .

ولم يَعدْ هناك ساعد ولو صغير كساعد الطفلة الرضيع يلوح لها كعود مورك يبشر يوماً بالربيع ، فتتخذ من غضارته الواعدة سنداً وأملاً ولو إلى حين . . .

بل إن هذا الساعد كان هو البقية الباقية لها ، ولكنه الآن يبدو لها من بعيد بين أنياب الصلال السود ، تلوح لها به كلما تلفت لتذكرها المصير المحتوم ، ولتقول لها أن لا سبيل بعد للخلاص . . . وأنه لا شيء ينتظرها غير العدم والحسرة ، وأنه لا ربيع بعد خريف الحياة . . .

إنها تنتظر ساعداً آخر صغيراً ، ولكنها ترى في عروقه بدل الدم صديداً من دمل صغير ، هو العلامة الصارخة لحكم القدر الذى يرتسم هنا على الجبين فى خطوط غير مقروءة ، ولكنها تتكشف فجأة فى ضربة قاضية من القضاء المحتوم . . .

• لا سبيل ولا مهرب . . .

وهذا الميلاد الحديد تنتظره تلك الأنياب ، بل هو لها ، إنها هى التى خلقت ، وأولدتها إياه . . .

أليس هذا الرجل « قدرها المقدور » صُور إنساناً ، وسلط

عليها منذ البداية ليتم عن طريقه ذلك المكتوب على جبينها منذ الأزل ؟ ...

هو الذى تراءى فى أفقها لترسم حول شخصه تلك الرسوم العذبة فى قلبها ، ليتسنى للقدر أن يحول تلك الرسوم - فى قسوة وسخرية - وشما محرقا من نار وحميم ...

وهو الذى أولدها تلك الذراع الرقيقة الواعدة فإذا وعوده سخرية وألم ، وإنذار لا يفتر صوته النافذ الرنان منذراً بالنهاية المحتومة التى لا مهرب منها من أى سبيل ...

وهو أيضاً الذى جاءها - فى قسوة القدر وسخريته - قبل أن يرسل إليها ورقة طلاقها بيومين ليعيد إليها ذكرات من أمسها المورق الظليل ، وليتركها بعد فى وادى العدم ، وفى أحشائها هدية جديدة للقدر ، هى طعام جديد تنتظره أنياب الصلال فى ترقب حول قدميها ، لتتلقفه عند ما يكمل الأيام ويخرج من أحشائها ليدرج فى النور ، فتدبلحه هى فى وادىها السحيق الذى يترأى هنا إلى جانبها ، ومن خلفها ، بل من فوق رأسها أيضاً ...

أيحسب الناس زرقة الجوع عرشاً للرحمة ومسارب للنور ؟ إنهم إذن لواهمون ! إنها لمعات عيون الصلال ، صلال العدم والحسرات ،

وليست نجوماً تهدي الأفلاك في إدلاجها وسراها . . .

عدم وفراغ حولها في كل مكان . . .

بل إنها لتحمل الفراغ والعدم في أحشائها ، وما هذه الحركات
التي تضطرب بها إلا إمعان القدر في سخريته وأذاه . . .

إنه لثعبان ذلك الذي يتلوى في أحشائها . . . ثعبان كتلك
الثعابين التي تبصرها حولها في كل مكان ، ثعبان يريد أن يخرج
من أحشائها في صورة طفل ، حتى إذا أحبته وأخذت بذراعه
الواهنة لتؤنسها وتتنسم فيها ربيعاً بعد الشتاء . . . عاد الطفل ثعباناً
ولدغها في صدرها ، هنا عند مفرق الثدي ، وإذا الطفل ،
والأمل ، والربيع قد ماتت كلها ، وإذا بها تجد من جديد
نفسها في وادي العدم والحسرات . . . ، وقد صارت الحسرات
فيه أمر وأقسى ! . . .

١٢

صديقة « أم صالح » ...

وحدة قائمة . . .

حتى أم صالح ، تلك العجوز الماكرة الخبيثة ، هي الأخرى
ثعبان من تلك الثعابين التي سخرها القدر لسخريته ، كما سخر
متبولي ، وكما سخر ابنها حياة ، وكما يسخر الآن هذا الذي
يضطرب في أحشائها ويتلوى .

هذه الخبيثة . . . إن لها الآن صاحبة جديدة ، لم تكن تطرق
الحارة من قبل ، هي « رتيبة » بائعة اللادن ، زوج متبولي
الجديدة ، تأتيها مغرب كل يوم وتجمع حولها الماجنات من نساء
الحارة ، توزع عليهن اللادن والكحل ، وتمسك لهن الطبل ،
وتدق عليه دق طمتمقناً سريعاً ماجناً كسباق الشياطين وهن من
حولها يرقصن رقصاً هائجاً ، ويغنين أغاني الزفاف ذاكرات
محاسن « العريس » بكلمات مكشوفة ثم يضحكن ضحكات عالية
ممطوطة تحس أصداءها في صدرها الذي برزت عظامه فتأخذها
رعدة كربعة المحموم ، وتحسبه ضحك الشيطان والأفاعي
التي ما فتئت منذ البداية تلاحقها في صور مختلفة لا سبيل إلى

إدراك كنهها ، فهي تارة متبولى والستار وابن الجحيران ، ثم هي ابنتها ، ثم هي أم صالح ، ثم هي هذه الرتيبة الماجنة وصواحبها ، بل هي تلك المضغة من قذيفة الثعبان في أحشائها . . .

وخرجت في الظلام ذات ليلة هرباً من هذا الجحيم ، هائمة على وجهها بين طرقات الحى ، ثم في الشارع الكبير وعند الميدان حيث يموج الناس ويلتقون ويفترقون في غير ترتيب ولا نظام منغوم .

ووقفت تحت مصباح من المصابيح تنظر في الغادين والرائحين وتأتس بهم ، فإنها تستطيع هنا أن تطمئن على الأقل أنه لا ثعابين ترود حيث لا ينقطع الناس عن سحق وجه الأرض بنعالهم وعجلاتهم وبحوافر الدواب . . .

ولكن هذه الثعابين الشيطانية لا يعينها أن تظهر لها ساخرة في صورة مبتكرة . . . فهذا هو ابن الجحيران الموعود الذى انتظرته طيلة صباها وحلمت به وعاش في طوايا ضميرها دهرًا طويلاً ، هذا هو بشعره المصفف وعينه الخضراء ، وطراوته وبزة أبناء المدارس المترفين . ها هو يقترب منها مُتَشَنِّبًا في مشيته في دلال ومجون . . .

يا للعة ! إنه يحدق فيها ثم يضحك . . . إنها بعينها ضحكة
الشياطين التي تسمعها من أفواه الثعابين كل مرة سخرت منها
هذه الثعابين أولدغتها . . .

إنه يضحك ضحكة ساخرة ماجنة رعناء ، ويلوى شففيه ،
ثم يدير لها كتفه وهو يقول :

— يا « سبارس » !

وتمضي على وجهها من شارع إلى شارع ، وضحكة ترن
في أذنها « يا سبارس ! »

نعم ! إنها كذلك ! بل إنها كانت دائماً كذلك ولكنها
لم تكن تدري . . .

أليس هذا قدرها منذ البداية ؟ ألم يكن مكتوباً دائماً
على جبينها . . . فهي لم تكن في إشراق صباها إلا تمهيداً لذلك
المصير المحتوم . . . أليست السيجارة الفاخرة السوية لازمة لكي
تتخلف عنها السبارس والأعقاب . . .

أجل إنها كانت دائماً سبارس ، ولم تكن إلا سبارس حتى وهي
امرأة تشهى وتملاً صدرها الآمال . . .

سبارس وزحام وأقدام . . .

ثعاين فى كل صورة وفى كل مكان . . .

وتنتهى عند الفجر إلى غرفتها فترتمى على الطراحة حتى
الصباح ، ثم تقوم مذعورة لترى الثعاين من حولها فى كل
شئ وفى كل مكان . . .

تستقبل عملها ، وتنظر إلى الناس نظرة غريبة مذهولة فى
سخرية وتوجس وتبلد فى آن واحد . . .

فإن هؤلاء الناس لا يرون الثعاين ، أما هى فتراها رأى
العين . أفيظنون أنها غير موجودة ؟ إنهم لحمقى ! . . . إنها
هى تعرفها . . . بل من أدراها أنهم ليسوا هم أيضاً ثعاين . . .
إنهم لتتوقع أن ينقلب أى شئ ثعباناً ، وأن تسمع الضحكة
الساخرة القاسية من الكرسي ، أو الموقد أو كومة الغسيل . . .

وماذا يرون فيها ! أغاسلة بالكراء . . .

ألا ساء ما يتوهمون ! . . .

إنها تعلم الحقيقة المخبوءة من أمر نفسها كما تعرف الحقيقة
من أمرهم . . .

إنها سبارس . . .

ولكن الناس حمقى لا يبصرون ولا يفهمون . . .

أما هي فتعرفهم ، وتعرف أنهم العوبة الشيطان الخبيث ،
وصور يتخذها لنفسه ليلهو بهذا وذاك حيناً ، وليسمعها فجأة ،
ومن حيث لا تنتظر ، من أحشائها مثلاً ، صوت ضحكته ...
فإنه يبدو أن هذه هي لعبته المفضلة معها .

١٣

صرعة الداء...

وبرز بطنها بروزاً شائها ، فلم يكن أكبر من هذا البطن
على أنحف من هذا الجسد الهزيل المتداعى . . .
وقد تعودت الصمت ، فلا تحدث أحداً ، ولا تنظر إلى
أحد إلا شذراً . . . وإنها لتتوجس من الجميع توجساً مصدره
عرفانها لبواطنهم المطوية عن الأنظار . . . إنهم جميعاً أفاع تتخذ
من الصور ما تشاء بفعل قدرة شيطانية يسخرها القدر ليسخر
منها حيثما أمنت واطمأنت إلى مطابقة البواطن لحقائق الأعيان . .
صمت مضطرب وحذر هائج لا يفتر ولا يُسلم إلى طمأنينة
أوهدهوء ، فحياتها انطواء على ذكريات « وداد كل ما فيه رياء ،
وعداء كل ما فيه افتراء ، وسكون كل ما فيه اضطراب . . . » (١)
هذه النظرة المحمومة التي تنبئ عن عالم معزول عن عوالم
المرئيات والظواهر والأوضاع والمواضعات ، وهذا الصمت المضطرب
اضطراباً يفوق الضجيج والاعوال وهياج من بهم مس من شيطان
أو من خبال . . ، كان ينأى بالناس عنها كما نأى بها عن

(١) العقاد : رثاء مى .

الناس ، فهم يحسون بها شبحاً من عالم غير عالمهم لا ينظر إليهم أهله نظرة مودة أو إعزاز

ووهنت يدها عن الغسل الجيد الذى عرفت به فى أيام صباها ، ووهن صدرها عن احتمال رطوبة البكور عند إقبال الشتاء ، بعد أن ووهنت نفسها دون تقبل الحياة

وبدأ السعال ينهكها ، وبدأ إعياء النفس يدفع بإعياء الجسد إلى رقدة طويلة تحت وطأة الداء ، تقطعها يوماً كل بضعة أيام لتدور فى الطرقات على غير هدى ، باحثة عن شىء تجهله ولا يعنىها أن تعرف ما هو ، أولتبيع شيئاً من النذر الذى بقى لها ، وأخيراً ، عند ما فرغ كل شىء ، باعت الستار وأكلت بثمنها ، ثم مدت يدها لسؤال الناس كلما وجدت فى ساقها قدرة على حملها إلى الطريق

* * *

وكملى أيامها ، فراحت فى غيبوبة طويلة لا تنقطع إلا قليلاً ، وقد أخذت تفتح عليها الباب فى اليوم بعد اليوم صبية فى العاشرة أو نحوها ، عرفتها فى الميدان الكبير حيث كانت تجلس أحياناً لسؤال المارة أوللتحديث فيهم ، وكانت هذه الفتاة تجلس

دائماً في ذلك الموضع لتبيع أقراصاً من العسلية لصبيان الشارع ،
 ولتقبل بعض الملييات أحياناً من زائرة تقية لضريح « أم هاشم » .
 لقد كانت هذه الفتاة تأتيها عصر كل يوم فتعطيها قليلاً من
 اللبن وتمضي

وكانت هي تنظر إليها نظرتها الحاذرة المائجة بالذحول
 والخوف ، وترك اللبن في الكوز الصدىء إلى جانب رأسها
 لا تقربه .

وتنصرف الفتاة . . . وعند إقبال الليل ترى نواصي صبيان
 الحارة تتناول لتنظر إليها من الشباك ، وهم يصيحون : « العفوية
 هه . هه ! » . . .

وتنظر إلى كوز اللبن ، وإليهم ، وهي خائفة مذعورة ،
 ثم تتناول الكوز كمن يهم بأمر عظيم عقد العزم على المخاطرة فيه ،
 وتشربه جرعة واحدة ثم تستلقى كمن ينتظر الموت ، ولكنها
 تستيقظ ثانية في الصباح . . .

١٤

الحادث المنتظر السعيد

وحاءها المخاض ، فحضرتها داية عجوز ، أحضرتها
« حسيبة » بائعة العسلية الصغيرة . . . حضرتها يوماً وبعض يوم ،
لا تجد من نفسها قوة لإخراج ما في أحشائها ، ولا تجد في
نفسها رغبة في ذلك . . .

وأخيراً ، خرجت إلى النور « فتاة » أخرى ، دمية لا تزن
رطلين ، زرقاء ، عجفاء ، لا يكاد يتردد لها نفس أو يسمع
لها حس إلا مواء كمواء الهريرة العمياء . . .
أما الأم فكانت في غيبوبة متصلة .

وانصرفت الداية العجوز بعد أن استوفت حقها ضرباً في
الفتاة الصغيرة « حسيبة » التي نقدتها ثلاثة قروش وهي تحسبها
فوق الكفاية . . . وقد تجمع النسوة الساخرات وصبيان الحارة
أمام النافذة والباب .

وجلست الفتاة الصغيرة في ركن الغرفة البعيد ترقب « نعيمة »
المجنونة ووليدتها ، وأخيراً ، عند ما تفرق النساء والصبيان ،
تسللت إلى الخارج في صمت .

وظلت الفتاة تمر بالغرفة كل يوم تحمل اللبن ، وتقطر منه للرضيع التي لم يدر ثدى أمها لبناً من أجلها بعد . . .

وفي اليوم الثالث حدثت حسيبة النفساء حديثاً لم تلق بالها إليه ، عن ذلك الشرطى الذى جعل يضايقها أخيراً ويطاردها ويضيق عليها الخناق فى كل مكان . . .

وفي اليوم الرابع حضرت شعشاء الشعر ممزقة الثياب خالية الوفاض ، وجلست فى الركن البعيد من الغرفة وقد ضمت ركبتيها إلى صدرها وأسندت رأسها إليهما ، ثم رفعت وجهها المنزىل ونظرت إلى النفساء وطفلها التي تموء . . . فإذا النفساء تحديق فيها فى ذهول وصمت نظرة بعثت فى نفسها غير قليل من الاضطراب ، فأشاحت بوجهها ثم قامت وخرجت فى سكون . . .

وفي اليوم الخامس لم تحضر . . .

ونخفت مواء الوليدة ، وانقطع إغماء النفساء الذى كان يتابها حيناً بعد حين ، وإن يكن قد زاد إعيائها كثيراً . . .

١٥ .

نداء البئر...

ظلت طيلة يومها تنظر إلى الطفلة التي يرتفع مواؤها الخافت
القصير قليلا ثم يسكت ، وهي لا تحرك رجلا ولا يداً ، وتنصت
لثغاء النسوة في الحارة يتعاركن ثم يستأنفن تبادل الأسرار
وأحوال الرجال معهن وأخبار الطعام والشراب وماء
الحمّام . . .

وكأنما قد نسيها الصبيان فلم يقدفوا خشب النافذة بالحجارة
والطين ، ولم يسبوها أو يذكروا شياطينها وخبالها المزعوم ، ولعل
الصبيّة بائعة العسلية هي التي كانت تذكرهم بها في دخولها
وخروجها .

ودارت في رأسها أفكار مضطربة باهتة ، فهذه أمها تلقمها
الطعام في يدها وهي بعد طفلة صغيرة ، وهذا متبولى يطعمها
بسكين ، ولكن الدم لا ينبثق من الجرح ، بل ينبثق منه لبن
ومع اللبن صديد كريه الرائحة مائل إلى الاخضرار ، وتكون
بجانب الجرح دمل صغير جعل يكبر ويكبر ، ثم انفتح وبرز
منه ثعبان كبير جعل يمسح بلسانه الملتهب بطنها وثديها .

ثم تنتبه من الحلم على مواء الصغيرة مواء ضعيفاً جداً
لا يكاد يسمع .

لعلها جائعة ، أو لعلها في حاجة إلى تغيير ملابسها ، ولكنها
لم تتحرك لشيء من ذلك .

وتقول لنفسها أن شد ما تكره هذه الصغيرة الفضولية
الشوهاء ، فإنها أجبولة أخرى من أحابيل ذلك الثعبان الشيطاني
الموكل بها وكم تود لو ماتت هذه الصغيرة جوعاً

ولكن يدها تمتد دون أن تشعر إلى ثديها فتعصره ، ولكن
الثدي لم يدر شيئاً أو لعل يدها لم تعصر الثدي عسراً
كافياً فمن أين لها قوة في أصابعها للعصر ، بل من أين لها
لبن في ثديها وهي لم تذق طعاماً منذ يومين ؟

وسمعت دعاء دجاجة في الطريق تستعد للبيض
فتصلبت أصابع يدها تغرسها في وركها المتهدل الهزيل
وحاولت رفع نفسها ولكنها لم تستطع ، فألقت رأسها ثانية على
الوسادة القنرة في استسلام قانط وهي زائغة العين

* * *

وعند انسداد الليل عادت الطفلة إلى المواء الضعيف ،

أضعف من ذى قبل ، فنظرت إليها بجنون . . .

إنها تكرهها . . . وتكره فيها عجزها مجسما عن مواجهة الحياة ومقاومة قدرها المكتوب .

وفي خنق وثورة وجدت في نفسها قدرة على القيام ، والخروج إلى الطريق . . .

ودلفت من حارة إلى حارة تستند إلى الجدران ، وتستريح عند كل عتبة لتبتعد عن هذه الطفلة . . . عن صورة أيامها وعجزها ونصيبيها المتجدد من حولها فراغاً وعدمًا . . .

وانتهت إلى دار خربة مهجورة جلست على عتبها . . . ولكنها سمعت وقع خطوات حارس الليل ، فدخلت تختنئ فيها ، وجلست هناك بين الأحجار والأطلال في ضوء القمر الساطع ، على حافة بئر قديمة . . . وسمعت في البئر أصواتاً ، أصواتاً خافتة خشنة . . . لعله دوى الريح يغوص فيها . . . فإن الريح لشديدة في هذا الليل بحيث تعصف ببنيتها الواهنة عصفاً .

لقد تبينت أخيراً هذه الأصوات المبهمة المجهولة . . .

إنه نداء الشياطين . . . لقد تبعها إلى هنا ، بل لعلها هي التي دفعها إلى هذا المكان لكي تلتقي بها هنا .

إنه نداء قدرها ، يذكرها أن لا مفر لها من المحتوم .

فراغ وسخرية وعدم . . .

وقامت مذعورة تجرى ، أو تحسب أنها تجرى ، وهي تتكفاً وتقوم ، حتى عادت بعد انتصاف الليل إلى حجرتها التي يملؤها ضوء القمر .

وارتمت على الطراحة ، وسمعت أنين الطفلة . . . ضعيفاً نحائراً ، كأنه احتضار . . . يا لله ! بل إنه لا احتضار ، وأقبلت كالمجنونة تعصر ثدييها كليهما وتضع الواحد منهما بعد الآخر في فم الفتاة الوليد ، ولكن في هذه المرة . . . بغير جدوى . وزمجرت الريح بين سعف نخلة قريبة في العراء ، فكان صوتها هو فحيح الثعابين المعهود ، وأعوال الشياطين . . . وتملكها الرعب . . .

ورن في أذنيها وبين أضلاعها نداء البئر . . . إنه هو نداء البئر ، نداء المحتوم . . . قد تبعها إلى هنا ليؤكد لها أن لا مفر من المكتوب . . .

ونظرت إلى الطفلة ، فاذا صدرها يعلو ويهبط في سرعة ، فحملتها في جنون ومضت بها لا تلوى على شيء . . .

وعند البئر وقفت تنصت في ضوء القمر بين الخرائب
والأطلال ، ثم نظرت حولها ، ثم تطلعت إلى القمر الساطع
في كبد السماء . . . فاذا به هو الآخر . . . يضحك ! . .
نعم إنه كان يضحك . . . إنه هو أيضاً صورة أخرى لذلك
الشیطان الموكل بها ، يسخر منها أیان نظرت وأیان تكون . . .
وارتفعت الأصوات مرة أخرى من جوف البئر خشنة قاسية
في سخرية وزمجرة وضحك مكتوم .
وألقت الصبية إلى قدرها الذي أولدها إياها وانطلقت مبتعدة
لا تلوى على شيء . . .
لقد حسبت أنها تجرى . . .
ولكنها لم تبلغ إلا عتبة الدار ، وهناك تعثرت وانكفأت على
وجهها وأسأمتها الإعياء إلى الاغماء .
وهكذا وجدها المارة عند طلوع النهار . . .

١٦

المدالة الساهرة تقشص ...

وفتحت سيارة السجن عن باب منخفض يؤدي إلى مسرب
تحت الأرض تجلس فيه طرائد القانون في انتظار كلمة العدالة
الساهرة ، معصوبة العينين (يا للسخرية !) وفي يسارها سيف
وفي يمينها قسطاس !

ودخلت مع الداخلين والداخلات فأتخذت لها مستقراً
على « الدكة » الخشبية ، وقد دلت ساقها ووضعت يديها
المصفدتين في حجرها ، وأخذت تنظر إلى الفضاء من كوة
صغيرة في البنيان

لم يكن مرآها ينم عن اهتمام بشيء مما يدور حولها أو مما
يتظرها بعد قليل .

ولقد تنظر أحياناً جنبتيها لتأمل هذه المرأة الماجنة العابثة
في مظهرها وحركاتها ، ثم ترد بصرها إلى هذه العجوز التي تبدو
عليها السذاجة والتقوى وتهم بتحريك يدها لتهرش في
ظهرها ، فإنها تحس فيه أكلاً لاذعاً شديداً ، ولكن يردّها
عن ذلك قيد الحديد ، فتعود ببصرها إلى التحديق في الفضاء

خلال قضبان النافذة ، وقد بدت لها القضبان في هذه اللحظة أضخم مما كانت من قبل .

ودفعوها من سلم آخر مع غيرها من رجال ونساء إلى وجه الأرض ، فإذا بها في قفص من حديد في قاعة من قاعات محكمة الإستئناف . . .

وإذا القاعة ملأى بأخلاق من الناس بين محترف وصاحب مصلحة ومتفرج خلى .

وأقبل أقرباء المتهمين والمتهمات يطمئنونهم أو يتزودون منهم في أسى وتوجس ، وأقبل المحامون على موكلهم يبتون فيهم الرجاء . . .

وأخيراً أقبل شاب أنيق مرتفع الصدر على قصر في قامته ، منتفخ الأوداج في كبر ظاهر ، أبيض مشرب بحمرة ، كأنه بطربوشه القاني أحد تلك الشخصوس الحميلة المنمقة التي ترى في واجهات المتاجر الكبرى تعرض على الناس أحدث الأزياء . . .

وحلس إلى جوار القفص في مقاعد المحامين ، بعد أن رفع بعض سرواله ، ووضع حافظة أوراقه الجديدة اللامعة على

القمطر الممدود أمامه في زاوية أنيقة ، ثم التفت ناحيتها وأشار إليها أن تقرب .

وكانت هي ترقب حركاته في اهتمام لا داعي له أبداً إلا أن تشغل فراغها بحركات الكائنات من حولها، لأنها لا ترى شاغلاً يشغلها من أمر نفسها بعد

وتذكرت غدواته وروحاته في السجن ، يفحص قضيتها التي ندبته المحكمة بالمجان للدفاع عنها فيها

وانه لينظر إليها نظرتة إلى شيء قدر لا يمت بصلة إلى دنياه ،
وانه ليسخر منها ومن غبائها وتبلدها ، بل يسخر أكثر من ذلك
من فقرها الشديد الذي لا يسمح لكائن غبي أن يعيش ،
فإن الفقر لا يغتفر إلا للناهبين أما الأغبياء ، فلماذا يعيشون
إذا كانوا فقراء أيضاً إلى غبائهم الأصيل ؟

ولقد أحست منه رغبة عن مهمته في هذه القضية التي
لا يرى نفسه يشرف بالدفاع فيها بل لعله يتفلسف على ممثل
الانتهام تلك الفرصة المواتية للتجلية في حلبة البلاغة والبيان ،
والتشويق : بالعواطف الغريزية وبالعدالة والضمير والمثل الخلقى
و « بالإنسانية تنتظر كلمتكم يا حضرات المستشارين »

يا لله ! كم يبدو جميلاً أن يقول الإنسان هذا الكلام على ملاء
من الناس ، وأن يشير بيده هكذا في وقار ورشاقة ...
ولقد سألتها مرة أخرى ، لعلها الأخيرة ، ألا تزال عند
رأيها ...

وثبتت فيه بصرها برهة ، ثم هزت رأسها بالإيجاب ...
وهز هو رأسه كمن يتأسى ويرثى لحال نفسه كيف زُج به في
هذه القضية مع هذه البلهاء التي تأتي أن تتخذ نفسها أو أن
تتيح له أن يحاول انقاذها ...

واضطرب في القاعة صوت الحاجب ذي الشارب المفتول
والقامة المديدة والصوت المسموع ، ينادى في الناس بالسكوت .
ثم فتح باب عن يمين قفص الاتهام وخرجت منه هيئة المحكمة ،
فاتخذت مكانها على المنصة العالية تحت لافتة كتب عليها
بخط غليظ : « وإذا حكمت بين الناس أن تحكموا بالعدل » .

ولم تكن هي تعرف القراءة ، ولم يكن غيرها ممن معها في
القفص يعرفها كذلك ، لهذا لم يحدث فيهم التأثير المطلوب ،
فلم يأخذهم الخشوع ولا الطمأنينة المفروضة عند ما وقع بصرهم
على هذا المكتوب فوق رؤوس قضاتهم المسربلين بالسواد ...

أما هي فكانت تنظر إلى هذا المكتوب فوق رؤوس القضاة ،
 وإلى القضاة أنفسهم ، وإلى ممثل الاتهام والكاتب عن يمين وعن
 يسار ، وإلى المحامين والشهود والحاجب الصائح على الناس هنا
 وهناك ، نظرتها إلى عناصر من قضائها وقضاء الناس كافة ،
 لا تفهم منه شيئاً ولا يجوز بخاطرها أنه شيء يمكن أن يفهم
 بحال . . . ، ولكنه يستقبل كرهاً أو طواعية أو عن يأس واستسلام
 دون فهم أو توقع أو دفاع

ونوديت قضية هذا وقضية ذاك ممن معها في القفص ، ترى
 بعضهم يناضل ويحاول ، وهذا الشاب ذو الوشاح الأحمر يعصره
 عصراً ويحاوره كأنما يريد أن ينشب أظافره في عنقه حتى يورده
 موارد الهلاك ، تنفرج عنه شفتا هذا الكهل الوقور الذي يتوسط
 زميليه في ثقة وهدوء .

لم تفهم ، وإن كانت قد توجست وتأكد لديها أن الأمر كله
 قدر مقدور منذ البداية ، رسمه هؤلاء الناس أو رسمه لهم أحد
 غيرهم ، واقتسموا هم أدائه ، ولا يد لها يدفع ذلك أو التدخل
 فيسه . . .

وجعلت تنظر إلى كل محكوم عليه ، وقد انحط على المقعد

متداعياً كثيباً ، ثم لفت نظرها عصفور مرح في ذلك الصباح
المنتعش من أيام الربيع ، يغدو ويروح عند أعلى النافذة
الكبيرة ، حيث بنى عشاً في ركن من السقف يدخله ويخرج
منه في خفة ومرح وإقبال على الحياة . . . فاستأثر ذلك العصفور
بانتباهها دون جميع ما يجري حولها من تصرف في مقادير الناس
كافة ، فذلك كله أمر مكتوب لا يفهم ، يسير على نمط واحد
قديم إلى ختام معلوم . . .

ولكن هذا العصفور الصغير شيء جديد حقاً ، وهذه الشمس
المشرقة الضحكوك شيء جميل حقاً ، وكل هذا قابل لأن يُدرك
بالحس وأن يُفهم بمشاركة الشعور . . . أما هذا الذي يضطرب
حولها ، فلا تفهمه ولا تشارك فيه بفهم ولا إحساس . . .
وانتهت إلى الحاجب ينادى اسمها . . .

ووقفت كما أشار إليها حارسها الذي يجذب في إصرار طرف
شاربه الخفيف كأنما يريد أن يستحثه على الطول والنماء . . .
وأجابت على الأسئلة المعتادة .

وسئلت عن الجريمة ، اعترف باقترافها ، فأجابت
بالإيجاب . . .

ثم سئلت لماذا فعلت هذا . . .

وهنا سكتت برهة لا تجيب .

ألعلمها هي تعرف لماذا فعلت هذا ؟ أفيظن هؤلاء الناس الأذكياء أن هذا شيء يعرفه الفاعل ؟ قد يكون هناك سبب ، ولكن لم نخطر ببالها أبداً أن الفاعل هو الذي يُسأل عن ذلك السبب ، فأن يفعل الإنسان شيئاً ما مختلف جداً عن عرفانه لسبب هذا الذي يفعله . . .

وعجبت هؤلاء الناس الذين يسألونها هذا السؤال العجيب غير المعقول . . .

ولكن أمر هؤلاء الناس كله غير مفهوم ولا معقول فيما ترى . . . ونظرت إليهم نظرة عدم اكتراث ، نظرة العارف الذي يرشد إلى حقيقة كبرى ما كان ينبغي بأية حال أن يغفل عنها السائل :

— شيء مكتوب !

كانت مؤمنة بما تقول ، وترى فيه الكفاية وفوق الكفاية لكي يوضح كل شيء ، وخصوصاً هؤلاء الذين لا ترى فيهم أيضاً إلا عناصر وسطور من المكتوب . . .

ونظر المحامي إلى المحكمة والنيابة وهز رأسه . . .

ووقف ممثل الاتهام ، فأصلح من عقدة رباط رقبته المعنى بها ، وأصلح من وشاحه الأحمر ، وأخذ يتكلم بلغة تفهم بعض ألفاظها ولا تفهم بعضها الآخر ، ويلوح بيديه بحماسة وزهو ، ومحاميهما يستخزي لذلك الكلام ويبدو عليه كما لو كان يحب أن يقول عين هذا الكلام بلا زيادة ولا نقصان بدلا من الدفاع عن هذه البليدة البلهاء . . .

وانصرفت هي عن كل هذا إلى العصفور المزقزق في ركن من سقف البناء عند النافذة الكبيرة . . .

ولكنها انتبهت فجأة ، فإذا المدعى يناديها بالجرمة ويشير بذراعه إليها وينبه المحكمة إلى أنها خطر على المجتمع ، وخطر على العالم ، خطر داهم كبير ، وأنه ينبغي أن تجرد العدالة المقدسة وأن يجرد المجتمع قوته اليقظة الباسلة لكي يقضى عليها . . . هي المرأة الهزيلة التي لا تفهم من كل هذا شيئا ، ولكنها تنظر في اهتمام إلى الشمس والعصفور ، وتؤمن بالنصيب المكتوب . . . وهز القضاة رؤوسهم في اتران .

وجلس النائب راضيا عن نفسه وحسن بلائه .

ووقف المحامي فتمتم كلاماً لم تتبينه . . .

لقد عرض عليها أن يحتج بفقرها وحاجتها . . .

ولكنها رفضت . . . وهل الفقر عذر؟ . . . أليس الفقر نفسه

شيئاً مكتوباً على بعض الناس؟ . . .

لقد قالت له ان سبب جريمتها . . . هو هذا المكتوب ،

وأنه لا حاجة بها إلى الاحتجاج بالفقر . . .

وعرض عليها أن يقول إنها كانت في حالة شاذة . . . آه ! لقد

فهمت إنه أراد أن يقول إنها مجنونة . . . كما كان يقول عنها

صبيان الحارة الملاعين . . .

إنه أحمق كبقية هؤلاء الحمقى الذين لا يرون وراء الصور

المتباينة حقيقة المكتوب ، ولا يعترفون للشعابين والشياطين الموكلة

بالناس بوجود

إنه واحد آخر من سائر من يحسبون أنهم عقلاء أذكاء ،

وهم لا يرون ولا يحسون . . .

إنه لن يفهم لو حدثته بقصتها ، ولن يستطيع إدراك ما هو

نداء البئر . . . وضحكة القمر ، والشعابين السود . . .

ورفعت رجلها عن الأرض بحركة سريعة لا إرادية كمن

يبعدها عن عقرب أو ثغبان . . .

وهؤلاء الناس ، المتشحون بالسواد ، الحبيسون في وقارهم
ومعتقداتهم لن يفهموا هم أيضاً ما ليس من عالمهم . . .

لا جدوى من الكلام . . . فهذا الغباء المحيط بها ، وقلة
الفهم والمشاركة بالوجدان إنما هو أيضاً شيء مكتوب .

وعادت إلى الاهتمام بالشمس والعصفور . . .

ما أجمل شمس هذا اليوم ، وما أعظم الفرق بين صحوا الجو
في الخارج وبين عتمة السجن والرطوبة . . .
وسئلت مرة أخرى ألا تقول شيئاً . . .
وهزت رأسها سلباً .

ونحلت المحكمة للمداولة ، فإن العدالة « المعصوبة العينين »
يلزم لها كما ترى بعض الوقت كي تنصب موازينها وتصدر أحكامها
بكل ثقة وراحة ضمير

ويظهر أن العدالة انتهت أخيراً إلى قرار من هذا النوع . . .

إذ صاح الحاجب مرة أخرى « محكمة . . . »

ونادى الرئيس متهماً وراء متهم ، ثم ناداها وأعلنها بصوت
هاديء لم تفها عذوبته ، أن العدالة الساهرة قد خصتها

بثلاث سنين مع الشغل والنفاذ . . .

وحدقت في القاضي لحظة وهو يتابع قراءة الأحكام ،
فإنها لم تفهم جيداً ، ولكنها تذكرت أن هذه الأمور لا سبيل
إلى فهمها ، وإنما هي كلها نصيب مكتوب . . . ، فأشاحت
بوجهها إلى النافذة والشمس الضاحكة والعصفور الصغير .
ولكنهم لم يمهلوها إلا قليلاً ، ثم أخذها الحراس مع من أخذوا
ذلك النهار ، إلى حيث ينفذون فيهم ما « رأيت » العدالة
« المعصوبة العينين » في شأنهم على ضوء العقل والقانون .

* * *

وهذه هي الجريمة ! . . .

أقرأ

١٩٤٣

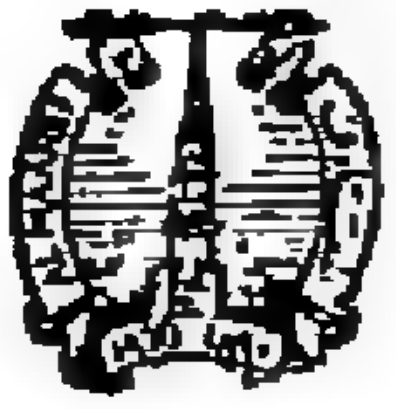
١٩٤٨

صدر منها ٦٣ كتاباً في مختلف ألوان
الفكر تداول كتابتها أعلام الكتّاب في
مصر والشرق العربي وقد رضى عنها
جمهور القراء في جميع البلاد العربية .

ثمن النسخة

في مصر ٥٠ ملياً في سوريا ولبنان ٦٠ غل س
في السودان ٥٠ ملياً في العراق ٦٠ فلساً
في فلسطين وشرق الأردن ٦٠ ملا .

أحرصوا على الاحتفاظ بهذه المجموعة
كاملة فهي دخر ثقافي قليل النفقة كبير
الفائدة وقد تكون في كل منزل نواة لإنشاء
مكتبة يستفيد منها الشيوخ والشباب .



مطبوعات مصرية

للدكتور طه حسين بك

عثمان

شخصية أضفى عليها المؤرخون القدامى سترًا من الإبهام والغموض ، وحام حولها المحدثون في خشية ورهبة ، ينضو عنها الستر عميد الأدب العربي ، ويجلوها صادقة الرسم وضاحة القسمات .
(٤٠ قرشاً)

للأستاذ سيد قطب

مشاهد القيامة في القرآن

تناول القرآن الكريم مشاهد القيامة في ملاحم رائعة ومشاهد شاخصة وصور وظلال ، يعرضها المؤلف في كتابه مشهداً مشهداً كما يصورها اللفظ الواضح المشرق .
(٢٥ قرشاً)

للدكتور يوسف مراد

مبادئ علم النفس العام

عرض منظم لجميع موضوعات علم النفس العام في ضوء المنهج التكاملي ، ييسر للقارئ فهم النشاط النفسي في تعقده وتشعب نواحيه . وهو مزين باللوحات والصور الموضحة ، وبه معجم مصطلحات علم النفس باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية .
(٥٠ قرشاً)

طالعوا في أول كل شهر

الكتاب

المجلة الفريدة التي يعتز بها كل
متعلم ومثقف لما يجده فيها من
الأبحاث والدراسات الرصينة في مختلف
ألوان الفكر لأبرع الأقلام العربية

أناقة في الإخراج
تحفة للمكتبات
ذخيرة للعقول

الثمن ١٠ قروش

تصدرها

دار المعارف للطباعة والنشر بمصر

رئيس التحرير الأستاذ عادل الغضبان

روضۃ الطفل

- ١ أرنبو والكنز
- ٢ كنت المدهش
- ٣ عيد ميلاد فلة
- ٤ فرفرو والجرس
- ٥ ذيل الفأر
- ٦ البطلة السوداء

أول مجموعة من نوعها
باللغة العربية يحد
الطفل فيها قصصاً مفيدة
مزيّنة بالصّور المبتكرة
ومطبوعة بالألوان الجميلة



المجموعة الجديدة بأن توضع بين يدي كل طفل
لتصعد به إلى الدرجة الأولى من سلم المعرفة
في حُبّ من المتعة والتسلية.....

تصدرها
دار المعارف بمصر





دار المعارف بمصر

أسست بالقاهرة سنة ١٨٩٠

وهدفها الأول نشر الثقافة عن طريق الرقى
بالكتاب العربى . وقد نالت مطبوعاتها
رواجاً منقطع النظير فى مصر وسائر
البلاد العربية لما تمتاز به من حسن
الاختيار وأناقة الإخراج واعتدال أثمانها

فرع الإسكندرية :

٢ ميدان محمد على

المحل الرئيسى بالقاهرة :

٧٠ شارع الفجالة

أولادنا

- ١ عمرون شاه
- ٢ مملكة السحر
- ٣ كبرياء الدين البغدادى
- ٤ آلهة الزمسان

قصص حية رشيقة تغذي روح الطالب
وتجلبوا له في جميع مراحل السمو
عناصر المنفعة والثقافة وسمو النفس

الجودة التي تجلب الكتاب الصالح إلى الطالب
فقد بل عليه صغيراً ويتعلق به كبيراً
ويكون له نعم الزاد في سفره الحياة



تسودها

دار المعارف بمصر

بإشراف الأستاذ محمد فريد أبو حديد بك

أولادنا

عمرون شاه



أولادنا

مملكة السحر



أولادنا

كبرياء الدين البغدادى

